د. هانى عبد الرحمن مكروم

# بَيْنَ الْعَالَمِينَ

يطلب من
مكتبة وهبة
١٤ شارع الجمهورية - عابدين
القاهرة - تليفون ٣٩١٧٤٧٠

obeikandl.com

الطبعة الأولى

١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م

جميع حقوق الطبع محفوظة

أميرة للطباعة

عابدين - ت : ٣٩١٥٨١٧

obeikandl.com

بسم ا لله الرحمن الرحيم

# مقدمة

الحمدلله رب العالمين، الحمدلله فاطر السماوات والأرض، الذى تفضل فجعل العاقبة للمتقين، وعدل فجعل الخزى والخسران للفسقة والظالمين. الحمدلله كما ينبغى لجلال وجهه وعظيم سلطانه.

اللهم صلى وسلم وبارك على من بعثته رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين... .وأشهد أنه قد أدى الأمانة وبلغ الرسالة ونصح الأمة وجاهد فى الله حق جهاده.

وبعد فلهذا الكتاب أكثر من هدف، فى مقدمتها محاولة تقليل مايشبه الفجوة – وأحيانا الجفوة – الموجودة بين بعض الفضلاء ممن تخصصوا فيما يسمى بعلوم الدين وبين من اكتفوا بما يسمى علوم المادة (فقط) وهم مخدوعون بألوانها وأطيافها ﴿وَهُم فى غَفلَة مُعرِضُون﴾. وكلا الفريقين يحسب أنه الأصوب وأحيانا ينظر للآخر بانتقاد حاد. فنجد من يسخر من الملتزمين بشرع ربهم – العزيز الحكيم – ومن يعلن الحرب عليهم ويطاردهم إرضاء للطواغيت وأعوان الشيطان. وأيضا نجد من المحسوبين على الملتزمين مَن قد يتنطع مغلفا نفسه بقصر نظره. ونجد من حديثى التدين من يندفع فيُكفّر بعض المفرّطين والملهوفين على اقتناص الماديات البراقة وانتهاز الفرص الدنيوية بأى ثمن، حتى ولو كان الثمن هو نوعية

المصير الأبدى. إنها دعوة لجميع العقلاء المؤمنين بجلال الله وعظيم سلطانه، من الجانبين: ﴿تعالوا إلى كلمة سواء﴾.

كما أحتسب هذا الكتاب للتحسس والرصد والتذكرة، ولمقاومة الغفلة التى تلف البعض منا. وبعبارة أخرى، قد يكون هذا الكتاب وسيلة تذكير للتفكر والتدبر. وفى نفس الوقت هو مقدمة محاولة لإدراك وتصنيف مايتيسر مما يعنينا ويؤثر فينا ويحيط بنا وينتظرنا. فبحسن توظيف المعلومات تزول بعض الغشاوات ويمكن لمس بعض الخطوط الموصلة للحقائق مما يسعد المتأمل حين يرى الصورة بوضوح أكثر. فالإنسان والعوالم - وعلاقاته بها - كلها أجزاء من كل واحد، والفصل التصورى لأى عالم عن الآخر يضر بالفهم ثم بالسلوك.

وفى الفطرة، الكامنة فى النفس البشرية، يوجد حنين وشوق لمعرفة قصتنا ومصيرنا، معنى كونى إنسانا! معرفة موقعى ضمن العالمين! تساؤلات تُطرح من وقت لآخر وشتاق لمعرفة الإجابة عليها. وربما ينتج من هذا الشوق تفكر وإدراك لبعض فوائد نعمة الإيمان، وهى النعمة العظمى التى حُرم منها غيرنا ممن فرطوا فى جنب الله(تعالى)، وممن ﴿... أضَاعُوا الصَّلاةَ واتَّبعُوا الشَّهَوَاتِ (٥٩) - مريم﴾.

وأساس تصميم هذا الكتاب هو الحرص على دقة الرصد لبعض ما أصبح متاحا لنا من معلومات يمكن أن تزيل بعض الغشاوات التى تحجب عنا حقيقة صورتنا ودورنا فى قصة الوجود، وموقعنا بين العالمين. وذلك بضبط وسائل ستقبالنا للمعلومات المتنوعة التى تبوح

بها مفردات العوالم المختلفة، وتوظيف هذه المعلومات فى سد الثغرات الظاهرة – فى تصوراتنا – بين العوالم وبعضها البعض.

وقد دفعنى للتعجيل بإخراج هذا الكتاب ماهو ملاحظ من ضلالات فى التصورات التى تروج فى الساحة الفكرية، ومن تخبطات عارمة فى ظلمات يموج الناس فيها ﴿.. وَهُم يحسَبُونَ أنَّهُم يحسِنُون صُنعا – الآية (١٠٤) الكهف﴾، ﴿وإذَا قِيلَ لَهُم لاتُفسِدُوا فى الأرضِ قَالُوا إنَمَا نَحنُ مُصلِحُونَ (١١) ألا إنَّهُم هُم المُفسِدُونَ وَلَكِن لايَشعُرُونَ (١٢)- البقرة﴾.

ومن المسلم به أن هذا التعجيل – فى إخراج الكتاب – لايتيح الفرصة الكافية للتفصيل الذى ربما يتيسر فىطبعة تالية، إن شاء الله وكان فى العمر بقية.

فى الفصول التالية من هذا الكتاب نحاول تجميع وتصنيف بعض مايسره لنا العليم الخبير – تبارك وتعالى – حول علاقات بعض العوالم.

ويجب ألا ننسى أننا نتناول موضوعات شديدة التنوع والصعوبة، نتناولها بعلمنا المحدود، ولذلك سنتوخى أقصى درجات الحذر مع الالتزام بما نحسبه الأسلوب العلمى الذى ينبذ الخرافات ولايعترف بالتهويمات، بل يقدم البرهان، ويستخلص النتائج من المقدمات الموثقة.

وأوثق مانركن إليه هو النور المبين، قول رب العلمين، ثم هدى نبينا (صلى الله عليه وسلم)، ويأتى بعد ذلك ما أفرزه العلم الحديث من معلومات مثبتة وصحيحة نسبيا فى حدود عوالمها.

لن نفصل كثيرا فيما يختص بالعوالم المشهودة؛ لأنها متاحة فى العديد من المصادر والكتب، لكن سنذكر منها مايلزم للتدليل على مانريد توضيحه أو إثباته بأسلوب مبسط؛ ليتيسر استيعابه لأكبر عدد من القراء. والتركيز سيكون على الأخبار الصحيحة المتعلقة بعوالم الغيب ومدى ارتباطها بعوالم الشهادة التى تحيط بنا.

وجدير بالذكر أن العوالم تفوق الحصر عددا وضخامة ودقة وتفاعلات، ولا يحيط بعلومها إلا خالقها – تقدست أسماؤه وتباركت آلاؤه. ولذلك سنختار من العوالم أوضحها لنا وما يبدو أنه وثيق الصلة بنا أو بفكرنا.

اللهم إنى أسألك – بفضلك ومنك وكرمك اللامحدود – أن توفقنى يارب العالمين لإحسان هذا العمل، وأن تتقبله منى خالصا لوجهك الكريم، وأن تربط على قلبى – يا مقلب القلوب – فلا تجعل للنفس فيه حظا.

هذا وأطمع فى عفوك ورحمتك – ياأرحم الرحمين – أن تغفر لى عجزى فى التعبير عن الثناء الذى يليق بجلال وجهك وعظيم قدرك كلما ذكرت اسمك العظيم تشريفا وتنويرا لسطور هذا الكتاب، ولانحصى ثناء عليك كما أثنيت على نفسك.

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد ألا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

هانى عبد الرحمن مكروم

حلوان فى صفر ١٤٢٠هـ – يونيو ١٩٩٩.

# رب العالمين

الحمد لله رب العالمين، خالق السماوات والأرض وما بينهما وما فيهن، رب كل شيء ومليكه، مُصرف الآيات ومدبر الأكوان وما فيها، الرحمن الرحيم، الحي القيوم، حاكم التحولات والسكنات والحركات والأنفاس، وكل ما ظهر وما بطن، وسبحانه وتعالى عما يصفون.

بمعرفتنا لرب العالمين تتسع رؤيتنا ومداركنا ويزداد فهمنا للوجود، وتتكامل معارفنا حول العالمين. وأمتع مافي الدنيا والآخرة هو معرفة رب الوجود والأنس بقربه تعالى. وهذه النعمة العظمى يفتقدها أغلب الناس، وهم لايشعرون بفقدها؛ لأنهم لم يسبق لهم أن ذاوقوا حلاوتها، ولم يطلبوا يوما أن يستريحوا في ظل لا يعرفونه.

ومن يتأمل الكون، ومافيه من الآيات، يستشعر -بعقله - هوامشا من آثار قدرة العزيز الحكيم ورحمته، مما يجعل الإنسان يشعر بانفعال جوارحه وحنينها الفطرى لطاعة بارئها (تعالى)، ويشعر المتفكر المخلص برغبة (جارفة) في السجود الكلى لعظيم الأرض والسماوات، ملك الوجود - تبارك وتعالى.

وفي ذلك السجود اللذيذ تتناغم الجوارح المسبحة، وتُغمر النفس بالسكينة والأمن والطمأنينة، وربما نشبه ذلك بلجوء الطفل إلى

أحضان أمه – متشبثا بها –كلما أفزعه خوف أو غلبه أمر، إن جاز هذا التشبيه المتواضع، ولله (تعالى) المثل الأعلى.

لله الأمر كله، ومنه الخير كله، وكل ماسوى الله باطل. كما جاء فى الحديث – الشريف الصحيح المتفق عليه – والذى رواه أبو هريرة (رضى الله عنه): "أصدق كَلمة قالها الشاعر كلمة لبيد: ألا كُل ماخلا الله باطلٌ". فأى شكل من أشكال الوجود هو شىء محدود وموقوت وزائل (باطل)، ويبقى من أوجد الوجود – سبحانه وتعالى فى علاه. ومادون قدرة الله فهى قدرات محدودة موهوبة موقوتة؛ لتؤدى دروها المُقدّر فى عالمها ثم تزول.

بعد أن رأينا الآيات الكونية بحواسنا ولمسنا المعجزات الحسية واستخلصنا المواعظ والعبر، فنؤمن بالقدرة المطلقة لعظيم الأرض والسماوات، الذى يقول للشىء "كن فيكون"، ولا معقب لحكمه ولا راد لقضائه. وتلك من أبرز خصائص الحقيقة الأزلية، والأدلة العقلية عليها – لدى العقلاء – تفوق الحصر، وذلك هو المنطلق الأساسى لهذا الكتاب. الله أزلى، كل الوجود منه وإليه، لاشىء قبله ولاشىء بعده. والألفاظ مثل: قبل، بعد، فوق، تحت، هى محددات فكرية لتعبئة (أو ضبط) علمنا المحدود؛ كى لايتلاشى فى اللامحدود. وهذه المحددات الفكرية وغيرها هى أيضا من الحواجز التى تحجب ما خلفها؛ حماية لنا مما لاتطيقه عقولنا.

لقد أُمرنا بالتفكر فى أنفسنا وفى الآفاق، فيما هو فى حدود طاقة عقولنا، ﴿ولايُكَلّف الله نفساً إلا وسعها﴾، وأول ما نزل من الذكر الحكيم

قوله – جل وعلا: ﴿إِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) – العلق﴾. وهذا أمر –صريح وواضح من رب العالمين – بالقراءة الكونية فيما خلق الله. قراءة ماهو أدق وأخفى من العبارات الإنشائية والقوانين الوضعية (الإسمية) والصياغات الرياضية(الرمزية)، برغم أهمية ذلك كله، لكن القراءة الكونية – لآثار القدرة الإلهية – هى الطريق العقلى للإيمان الراسخ، واستشعار مايتيسر من خيوط النواميس الحاكمة للوجود والتى تصور لنا مشاهد الأيات.

كل العوالم والمعالم، التى نتعامل معها أو نستشعرها، يحفظها ربنا كى لا تهلك، أو تزول إلى العدم كما كانت من قبل، أو حتى لا تنهار مقومات بروزها فتتحول إلى غيرها، ﴿إِنَّ اللهَ يُمسِكُ السَّماوَاتِ وَالأرضَ أن تَزُولا وَلَئِن زَالَتَآ إِن أمسَكَهُمَا مِن أحدٍ مِّن بَعدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيماً غَفُوراً (٤١) – فاطر﴾. القدرة الإلهية (المحيطة) هى التى تمسك وتحفظ وتربط، وتدير حركة الأكوان، وتنظم علاقات العوالم فى تفاعلاتها لتوليد الآيات ولتحقيق الغايات. فلا ذرة تخرج عن سلطانه (تعالى) ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا فى كتاب حكيم مبين.

# الإحاطة العظمى

كل العوالم بدأها العلى القدير – كما أخبرنا – بقدرته من لاشىء، ولم تُخلق ذرة إلا لوظائف وحكم، ومن مشيئته وُجدت الأشياء – كل الأشياء – ودخلت فى أطوار وتحولات وتراكيب (مرسومة)، من حال

إلى حال، ومن صورة إلى أخرى، ومن عالم إلى عالم، وهى مستمرة فى التغيرات المتواصلة المتشابكة المتفاعلة، وكلها على سفر الى أجل مسمى، ولايستقر لها قرار، ولايدوم لها حال، وفى النهاية كل شىء إلى زوال.

هذا أساس علمى يبنى عليه الراسخون فى العلم - بنور ربهم - وبه تزول الغشاوات وتنجلى الظلمات، وتتجلى الحقائق الساطعة، فيبرز الخفى وتطمئن القلوب، وتلين الجوارح.

ومع أن الناس - جميعا - مدعون للإيمان بالله - بداية - إلا أن الله (تعالى) ليس بغائب؛ فهو الظاهر فوق كل شىء، وليس ببعيد بل هو أقرب إلينا ﴿من حبل الوريد﴾. وكل ذرة فى الوجود -وفى جسم الإنسان -هى وثيقة الصلة بربها تسبحه وتمجده دون أن يشغلها التسبيح عن تأدية وظائفها الدنيوية، بل هذا الذكر هو الذى يمدها بالطاقة اللازمة لحسن الأداء. أما الإنسان -ككل - "فيكون أقرب مايكون من ربه وهو ساجد"، كما ثبد فى الحديث الشريف، شريطة أن يكون السجود حقيقيا - وليس مجرد حركات آلية - عنديد يشعر الإنسان بحلاوة معية الله (تعالى).

ويجمع أهل العلم على أن كل ما يتعلق بالذات الإلهية أزلى، وذلك يتضمن أن علم الله (تعالى) أزلى، ، وبناء عليه فهو - تبارك وتعالى - يعلم كل شىء مسبقا، منذ الأزل وإلى الأبد ﴿أحاط بكل شىء علما﴾.

ويستوى فى علمه (تعالى) الماضى والحاضر والمستقبل، وهذه الحقيقة بالغة الوضوح فى النظم القرآنى الفريد الذى يخاطب (الآن) أهل

الجنة وأهل النار بصيغة المضارع. فالزمن كله مبسوط أمام خالقه (تعالى) فنراه في بضعة أسطر في سورة الفجر - مثلا - يتحدث عن الفجر والليالي العشر والشفع والوتر وعن الليل وسريانه، والزمن بين اصبعيه (تعالى) بالغ المرونة وسريع الحضور ، فتُفتح صفحات الماضي البعيد زمن عاد وثمود وفرعون، ثم تُفتح صفحات الإنسان الحاضر (وسلوكه وفهمه الخاطئ)، وبعد ذلك مباشرة تُفتح صفحات الساعة والقيامة والحساب والعذاب.

وبشيء من التوضيح، نقول إن الإنسان يستصيح - مثلا - أن يصمم وينتج ماكينة (الآن)، لكنه لايعرف كم ذرة تحتويها بالضبط، ولا كم ذرة ستفقدها أو ستكتسبها الماكينة؟ ولا كم سنة بالضبط ستظل صالحة للاستعمال، ولا من أومتى سيستعملها، وماذا سيكون مصيرها (مستقبلا) بعد ذلك؟؟ هذا مثال يبين العجز البشرى عن معرفة المصير، ولو كان متعلقا بجماد، لكن علم الله (تعالى) يحيط بكل شيء يتعلق بسكنات وحركات ومصائر كل دقائق الوجود، منذ الأزل وإلى الأبد. وبدون إذنه (تعالى) لن يوجد ولن يتحرك إلكترون في ذرة، ولن تُحرّك الريح شعرة.

وهنا يلزم التأكيد على أهمية التمييز بين الإذن وبين المراد الإلهيين، فإذنه (تعالى) هو الحاكم الأعلى لكل حركة أو سكون للمجرة وللإلكترون. وفي نطاق تخييره بعض الخلائق - كالإنس والجن- فإنه (تعالى) يسمح لهم بمخالفة مُراده المعنوى (أوامره ونواهيه) في إطار إذنه المادى؛ ليكون هناك ثواب وعقاب.

واصل الطاعات والمعاصى معنوى، فلا الطاعة تفيد الله (تعالى)، ولا المعصية تضره. وقد أخرج الإمام مسلم فى صحيحه، عن أبى ذر الغفارى (رضى الله تعالى عنه) فى الحديث القدسى الطويل: "..... ياعبادى! إنكم لن تبلغوا ضرى فتضرونى، ولن تبلغوا نفعى فتنفعونى، ياعبادى! لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم مازاد ذلك فى ملكى شيئا، ياعبادى! لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم مانقص ذلك من ملكى شيئا ..... ياعبادى! إنما هى أعمالكم أحصيها لكم، ثم أوفيكم إياها، فمن وجد خيرا فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلايلومن إلا نفسه".

صلة الله (تعالى) وإحاطته بالخلائق لاتنقطع لحظة، وإلا هلكوا، و﴿لا تأخُذهُ سنة ولا نـوْم﴾، لكن الاتصال يمكن أن ينقطع من جانب الخلائق بسبب النوم والغيبوبة وبسبب الغفلة أو الإعراض أو الجهل أو الجنون ..... إلخ.

هذا ولا يخفى على القارئ أنه فى كل عصر ومصر، يوجد من الناس من غرتهم نعم الله (تعالى) عليهم فتصوروها من عند أنفسهم، وأصبح البعض منهم يوهم نفسه بأنه يمكنه منازعة الله (تعالى) فى ملكه، أو تغييبه (تعالى) عن التأثير فى مجريات الأمور!!

وكلما تبين لهم فساد دعواهم راوغوا وجادلوا بالباطل من أجل منافع زائلة. ومحاولا ت التغييب هذه هى من أبرز أسباب الفساد المنتشر فى الأرض.

ومن الناس من يلعب فى المساحة بين الكفر والإيمان، فيختار من الدين والشرع مايعجبه ويتملص مما لايعجبه، ويؤدى طقوس ومظاهر بعض الفرائض والعبادات فى المناسبات كأيام الجمع والآحاد والأعياد، وينسى الله (تعالى) معظم الأوقات.

# الأسباب

الأسباب الظاهرة والآليات الكونية – التى نراها أو نلمسها – هى مجرد حُجب مُقدّرة، تحجب عن الخلائق تجليات فيوضات سلطان القدرة المطلقة لعظيم الأرض والسماوات؛ فالعوالم بصورها (طبيعتها) الدنيوية لاتتحمل التجلى المباشر للعظمة الإلهية، وفى الآخرة سيتغير تركيب الوجود بدءا بالنفخة الأولى (الصعقة) ومرورا بالنفخة الثانية؛ ليتمكن السعيد منا أن يتمتع برؤية النور الجليل، بعد ذلك .

وحين ذاق نبى الله (موسى، عليه السلام) حلاوة المناجاة اشتاق لرؤية الرب العظيم، الذى يناجيه، ﴿.... قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا .... الآية (١٤٣) – الأعراف﴾.

اندك الجبل وصعق المناجى (عليه السلام)، هذا الذى حدث من آثار شدة العلو والعظمة، حتى مجرد الكلام المباشر لايتحمل البشر وقعه فى الحياة الدنيا، ﴿وما كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلا وَحياً أَو مِن وَرَاءِ

حجاب أو يُرسل رسُولا فيُوحى بإذنه مايشاءُ إنَهُ علىَ حكيم (٥١) - الشورى﴾. هذا الحجاب فيه لطف ورحمة بالخلائق، وله حكمة.

العظيم القدير بإرادته أوجد الوجود من العدم، وصوَره بالصور التى شاءها، ومن هنا فقط (أى بعد التصوير) أصبح من المعقول أن نتكلم عن البداية والأشياء وما بعد البداية والأسباب، وإلى أين تتحرك العوالم وتنتهى الأشياء. وأصبحت الأحداث تجرى ولها نهايات وعلامات وتحولات وحدود تساند فهمنا كى لاينهار (أو يضطرب).

أما قبل بدء الخلق فلفظ "قبل" لامعنى له؛ فهو ظرف زمان ولم يكن الزمان قد خُلق (تشكل)، ولا معنى لظرف بدون مظروف.

نعم الأخذ بالأسباب المعروفة (الموقوتة) واجب حياتى، ولكن الأوجب ألا تشغلنا الأسباب عن السجود لعظمة المُسبب تبارك وتعالى؛ فمن يُكسب الأسباب حيويتها وفاعليتها هو الذى أوجدها - تقدست أسماؤه وتباركت آلاؤه.

والأسباب التى نراها هى من نواتج ثبات السنن التى فطرها الخلاق العليم ﴿.... فلن تَجدَ لِسُنَتِ الله تَبدِيلا ولن تَجِدَ لِسُنتِ الله تحوِيلا - الآية (٤٣) - فاطر﴾، فلو كانت سنن الله (تعالى) غير مستقرة لما استطعنا التعامل مع ماحولنا ولا حتى مع جوارحنا، وكنا سنرى الأشياء والأسباب غاية فى المراوغة؛ لأنها تتحرك من خفاء إلى خفاء بسلوكيات طيارة ومجهولة.

إذن فثبات السنن واستقرار الأسباب - المعروفة إلى حين - يُعد من الرحمة والكرم العظيم؛ فبهذا الثبات وجدنا (علمنا) للمادة بعض

الخواص المستقرة، وللفعل رد فعل، وللمقدمات نتائج، وللحساب معنى وفوائد، فاستطعنا أن نبنى على ذلك ونحسب ونتوقع النتائج المادية ونراها تتحقق فنثق فى أنفسنا، مما يشجعنا على مواصلة السعى والحساب وتوظيف الأسباب المخلوقة، وتجميع المعلومات المستقرة بعضها إلى جوار بعض، وبذلك فهمنا معنى العلم فى تصورنا، وهناك من السفهاء من اغتر بذلك.

﴿ياأَيُّهَا الإنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الكَرِيم (٦) الَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ (٧) فِىأَىِّ صُورَةٍ مَّاشَاءَ رَكَّبَكَ (٨) - الانفطار﴾.

وليست كل الأسباب ولا النواميس معلومة لنا، وكم رأينا الأسباب المألوفة وكأنها تعطلت - أحيانا - عن العمل أو فقدت فاعليتها التى كانت ظاهرة (معروفة) لنا من قبل، وهى فى الحقيقة لم تتعطل بل فى مثل هذه اللحظات تعمل بعض الأسباب الخفية - وقتيا - ثم تكمن أو تعود من حيث جاءت، فنرى نتائجها ولانراها، تلك هى طبيعتها بالأمر "كُن" وبغير حساب.

فلا نتعجب حين نرى النار صارت ﴿بَرداً وَسَلاماً﴾ والماء (المائع) صار جدارا حاجزا؛ وذلك لأن الأسباب الخفية تعلو الأسباب الظاهرة، ولايطلب منا التعامل بالأسباب الخفية؛ لأن ذلك يفوق طاقتنا، ولكن الإيمان بها ينير العقل ويجيب على العديد من الأسئلة المحيرة، فتطمئن القلوب العامرة.

والأمر "كُن" لاينقطع، فبه تتواصل وتتفاعل سلاسل الوجود وتتشكل الأسباب فتظهر وتختفى، وتتحول المخلوقات وتتفاعل العوالم

ويتماسك بنيان السماوات والأرض. وتبلغ سعادة الإنسان مبلغها حين يرى عظمة فِعل الأمر "كُن" وهو يعلو فوق كل الأسباب، ويلغى نتائج الحساب، فتتبخر الغشاوات، وينفرج بعض الحجاب.

والأسباب التى تبرز لنا فى عالم الشهادة هى فى الأصل مصنوعة فى عالم الغيب، حتى وإن بدت – سطحيا – من صنع بعض الخلائق.

والعقل السليم الذى يتفكر ويتتبع الأسباب حتما سيقول: الله.

# الله والإنسان

بقدرته المطلقة – سبحانه وتعالى – خلق الوجود، ومن بين المفردات التى بدت متواضعة، فى الوجود، كان التراب والطين. ومن ذلك الطين خُلق آدم (عليه السلام) بدون أب ولا أم، وبغير حساب؛ فالطين (المادة) ربما جُعلت لتصنيف (تمييز) نوعية هذا المخلوق العاقل عن غيره الذى ارتبط خلقه بالنار (وهى إحدى صور الطاقة فى تصورنا). والنار والطين صورهما الدنيوية تشترك فى الطاقة وأصبح من الممكن تحويل أحدهما للآخر (معمليا)، أما الأصل الأعمق فهو غيبى.

والبشر ليسوا هم المخلوقات الطينية الوحيدة، بل سبقتهم المجرات والنباتات والحيوانات والطيور، لكن بدون النفخة من روح الله (تعالى). والإنسان هو شىء، من أشياء العالمين، أى جاء للوجود بمشيئة خالق العالمين، ككل مافى الوجود، وُجد بالمشيئة العظمى لله

الذى ﴿ليس كمثلِه شىء﴾، و ﴿لم يلد ولم يُولد ولم يكُن لهُ كُفوا احد﴾.

اما الأبوة والأمومة بالنسبة لبنى آدم فهى مجرد أسباب ظاهرية لتشكيل العلاقات الاجتماعية وصلات الأرحام وما يسمى بالأنساب (الموقوتة)، وبعد ذلك، ﴿فإذا نُفِخ فى الصُّورِ فلا أنسَابَ بينَهُم يومئِذٍ وَلا يتسآءَلُون (١٠١) - المؤمنون﴾. فآدم (عليه السلام)خُلق بمشيئةالرب، بدون أم ولا أب ، فهو ابن المشيئة. ولامعنى للأنساب فى هذه الحالة، وحواء (سلام الله عليها) خلقت بدون أم؛ فأمر الله لا يحتاج لأسباب ولا لحساب، ولاعجب، فقد ارتبطت حواء بآدم - نسبا ظاهريا - لتتشكل بداية الأنساب والعلاقات والتراحم.

وكان الولد من بنى آدم يتزوج شقيقته فى بداية تشكيل ظاهر أفرع الأنساب. وأوثق ما فى هذا الأمر، أننا جميعا أبناء الله، عيال الرب (تعالى)، عبيد الذات المقدسة.

ولكى لاننسى، فكل فترة، يرينا ربنا (تعالى) آية خلاصتها أن: الله هو الخالق الأوحد لكل شىء، وكل الوجود منبثق من قدرة المشيئة، وأن أمر الله (كُن) يعلو الأسباب ولايحتاج لحساب، كالذى يفعله البشر بسبب عجزهم، وقلة علمهم المحدود.

وكمثال (آية) للتذكير بطلاقة القدرة، فنجد سارة وإبراهيم (عليهما السلام) يلدان (بالمشيئة) بعدما تقطعت بهما الأسباب، وينشأ العجب

فتقول (سلام الله عليها): ﴿... ءألدُ وأنا عجُوزٌ وهذا بعلى شيخا ان هَذا لشيءٌ عجيبٌ – الآية (٧٢) – هود﴾.

عجوز برينة تتعجب من خرق العادة – برغم إيمانها – وبتحسب لأقوال السفهاء، فتأتيها التذكرة – المعاتبة – من عل: ﴿.... اتعجبين من أمر الله ... – الآية (٧٣) – هود﴾. إنها المشيئة العظمى للعلى القدير، هذا هو الاصل.

وبعد قرون وقرون تتكرر الاية العوية (للتذكرة) مع الشيخ الكبير (زكريا) وزوجه العاقر فيلدان نبى الله يحيا – سلام الله عليهم جميعا – بعدما عزت الأسباب المعروفة، ويتمثل العجب البشرى فى قول النبى زكريا (عليه السلام): ﴿قال ربِّ انّى يكُونُ لى غُلامٌ وكانت امرأتى عاقرا وقد بلغتُ من الكبر عتيًا – (٨) مريم﴾ !

هل نسيت يا نبى الله أنك أنت الذى طلبت هذا الطلب من ربك القدير مع علمك بشيخوختك وبحال زوجك العاقر، خلاصة الأمر أنه ﴿... كذلك قال ربُّك ...﴾، إنه القول "كن"، ﴿وقدْ خلقتُك من قبْلُ ولمْ تكُ شيئا ﴾.

إياك أن تظن يا ابن آدم أن أبواك هما الذين أوجداك.

خلقَ النبى يحيا (عليه السلام)، بعد تقطع الأسباب لدى والديه، يُعد آية اخرى ومن الإرهاصات التى تعهد لآية خلق المسيح (عليه السلام) مع غياب أحد الأسباب المعتادة – وهو الأب. وآية خلق النبى يحيا هى آية حاضرة (معاصرة فى نفس الأسرة) حتى لايفتن الناس بآية خلق

المسيح (عليه السلام)، ورغم ذلك فقد وضعوا الآية فى غير موضعها من العلم، ففُتنوا وضلوا، وأضلوا.

الرحمن يمهد للآية؛ تخفيفا لوقعها على العذراء الطاهرة، فكان الرزق يصلها من ربها وهى فى المحراب، وكانت الملائكة تخاطبها وأبلغتها مسبقا بالبشرى ﴿... يا مريم إنَّ الله يُبشّرُك بكلمة منهُ اسمُهُ المسيحُ عيسى ابن مريم ..... الآية (٤٥) آل عمران﴾.

الكلام واضح: خُلق المسيح بكلمة واحدة "كن"، فكان فى رحمها ليسمى باسمها ﴿المسيحُ عيسى ابن مريم﴾، يعنى بلا أب. ومريم هى التى سبق أن قالت لزكريا (عليهما السلام) الحقيقة التى تيقنت منها مرارا، ﴿... إنّ الله يرزُقُ من يشآءُ بغير حساب الآية (٣٧) آل عمران﴾.

لكن الناس ضلوا كعادتهم، فانزل الله (تعالى) النور القرآنى ليزيح الظُلمة وينطق بطلاقة القدرة: ﴿إنّ مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقهُ من تُراب ثُمَ قال لهُ كُن فيكُون (٥٩) - آل عمران﴾.

خلاصة الامر أنه النفخة: "كُن"، رمز المشيئة فى لغتنا، وهى ما فسرها القرآن بالنفخة. وآدم (عليه السلام) والتراب الذى خُلق منه مرجعهما إلى المشيئة العظمى، وبالنفخة خرج آدم من الطين.

الآية أن أنثى تحمل وتضع مولودا دون أن يمسها بشر، لا فى تسبيب الحمل ولا فى المعاونة (من الأهل) أثناء الحمل والولادة، والمولود يتكلم فيثبت - أول ما يثبت - عبوديته لله (تعالى) خالق الآيات والذى صنع هذه المعجزة، ويخبر بغيبيات عن مستقبله فى النبوة

وحمل امانة التبليغ عن ربه!! ﴿قال إنّى عبدُ الله ءاتانى الكتاب وجعلنى نبيا – (٣٠) مريم﴾.

وبدلا من أن توظف هذه الآيات لزيادة الإيمان، كبُر الامر الشيطانى فى العقول المظلمة وفى الأفهام السقيمة، فحرفوا معانى الآيات لخدمة الكفر، ﴿ماقدرُوا الله حقّ قدرهِ إنّ الله لقوىٌ عزيزٌ (٧٤) – الحج﴾.

الخلق قدرة ... الخلق قدرة ....

والاسباب الظاهرة التى تعودناها إنما هى سترٌ لطيف لقدرة العزيز الحكيم، أما الأسباب الخافية فهى من ومضات التسبيح بحمد صاحبها – تبارك وتعالى.

من يتدبر هذه الآيات ويستشعر جانبا من قدرة العزيز الحكيم يسهل عليه متابعة القراءة فى الفصول التالية، التى سنتعرض فيها للعوالم المشهودة بإيجاز ؛ لأنها معروفة إلى حد ما، وكتب فيها الآلاف، ولم تعد موضع جدال، فقط يضاف إليها معارف كل يوم.

اما العوالم الغير مشهودة فنتاولها بما يتيسر من التفصيل فى ضوء ماوصلنا من أخبارها الصادقة، والله (تعالى) هو المعين.

لسنا وحدنا فى الكون كما يدعى أو يتصور البعض ، والحياة العاقلة بأسبابها فى الكون ليست بنادرة، بل حولنا وينتظرنا عوالم شتى. وعالم البشر بين العوالم الدنيوية هو نقطة فى خضم محيط يموج بالعوالم

المتنوعة التى لاتتكرر ولاتعرف النمطية؛ فالأسلوب النمطى ممل وهو اسلوب العاجزين، ولا ينتج إلا مسخا جامدا، كما نرى فى المنتجات التى يشكلها البشر.

حتى بين مفردات العالم الواحد، الذى سواه الخلاق العليم، نجد أن كل مفردة هى عالم فريد لايتكرر أبدا - فسبحان الذى أبدع - فهذا التنوع الهائل يعد من أسرار الإبداع العظيم.

# الرسل

الرسل هم من رحمة الله العظيم للعالمين. وبسبب شدة العظمة ومهابة جلال الحقيقة الإلهية، فالأمر يحتاج إلى قدر فائق من التهيئة والرقى للتعامل مع عظيم الوجود - تبارك فى عليائه. ولذلك كان تبليغ الله (تعالى) لمراده من الخلق يتم عن طريق صفوة مصطفاه ممن خلق هم الرسل، صنعهم واصطفاهم بعلمه (تعالى)، ﴿إن الله اصطفى ءادم ونُوحا وءال إبْراهيم وءال عمْران عَلى العالمين - (٣٣) آل عمران﴾.

والدور الرئيسى للرسل هو تبليغ مراد الإله العظيم من عباده والتبشير بحسن ثواب الطائعين، وإنذار العصاة والفاسقين. وفى سبيل تبيين ذلك تفضل (تعالى) بالإخبار ببعض أحوال عوالم الغيب؛ كدليل مصداقية للرسل ومعالم تبصيرية للبشر.

الرسل تم اصطفاؤهم فى علم الله تعالى – على العالمين – قبل بدء الخلق ومنذ الأزل. ولذلك فللرسل تميزات خاصة على عامة البشر، فقد سبقت لهم من الله (تعالى) الحسنى، وصنعهم على عينه، وأغناهم عن الناس، وهداهم بهدايته، وعصمهم من الزلل، وأيدهم بنصره.

ومن يتأمل سير المرسلين يدرك كيف أن الله (تعالى) قد حفظهم من الركون إلى أب أو أم أو مخلوق أو حسب أو نسب أو أى شىء، مما يكبر فى عقول الناس،إنما علق قلوبهم به (تعالى) وحده. فلا أب ولا أم لآدم (عليه السلام) ولم يكن له إلا الله (تعالى).

ولا نعلم شيئا عن والد نوح (عليه السلام)، وما عرفناه عن علاقة إبراهيم (عليه السلام) بالمدعو "آذر" كانت أشبه مايكون بالقطيعة، بسبب اختلاف العقيدة. أما موسى (عليه السلام) فلا يُعرف لأبيه أى دور تربوى فى حياته، وتمت تربيته اعليه السلام) فى بيت عدوه (فرعون)، لكن فى رعاية الله (تعالى) التى تحيط بكل شىء علما وقدرة.

أما المسيح وأمه (عليهما سلام الله تعالى)، فلم يريا أبا. الأم (مريم) جاءت للوجود "يتيمة آل عمران"؛ لتكون ساكنة المحراب عابدة رب الأرباب الكريم الوهاب، يؤنسها حديث الملائكة إليها، وما كانت تنادى ربها إلا باسمه الرحمن، لما تشعر به من لطف الحنان الإلهى وشمولية الرعاية الربانية. أما ولدها (عليه السلام) فقد جاء بمشيئة علوية ولسان الحال يقول: لايغرنكم ظاهر الأسباب، ولا الأنساب (المؤقتة)، التى ستلغى قريبا حين ينفخ فى الصور، الوجود يتولد ويتشكل بالأمر "كن".

ان إرسال الرسل عمل إلهى محض، اختُتم بمسك الختام، ولله المثل الاعلى. فهذا خاتم المرسلين (صلى الله عليه وسلم) يُشرَف الوجود والاب غير موجود، فقد غُيب تحت التراب؛ لان دوره كان من ظاهر الأسباب.

"يتيم قريش" ترعاه المشيئة الإلهية، رضيعا فى البادية عند بنى سعد بن بكر، وما إن يبلغ سن الوعى والتمييز حتى يجرده القدر من أمه، فتدخل هى الأخرى فى عالم الغيب، ليصبح (حبيب الرحمن) مُخلصا مجردا، بلا اب ولا أم ولا أخ ولا أخت.

الظاهر للناس أنه يتيم، يُتم مضاعف، لكن صوت الرحمة العلوية يجلجل عبر السماوات مخبرا ومذكرا ومطمئنا ﴿ألم يجدك يتيما فآوى﴾، هذا مما سبق تسطيره فى اللوح المحفوظ.

فما أهمية الخلائق والأنساب – بعد ذلك – بجوار رعاية الرحمن؟.

هؤلاء الرسل هم الصفوة المخلصة وهم قنوات التبليغ بين عالم الغيب وعالم الشهادة، بين السماء والأرض. وبين الرسل وبين الله (تعالى) يوجد ملائكة واتصال بالوحى؛ لرحمة العالمين وهدايتهم إلى الطريق المستقيم الموصل إلى رحاب ربهم تبارك وتعالى.

وفى أزمنة الرسل كانت أنوار الرسالات السماوية تشرق فى سماء الدنيا فتفتح الابواب التى كانت مغلقة، وتتنزل الرحمات ويعلو الحق على الباطل، وتتوالى المعجزات، ويُخزى الشياطين، ويتعاظم ظهور حلاوة

الإيمان، فتلين القلوب القاسية وتطيب النفوس الكريمة فتبادر بالتضحيات، وتهب رياح الجنان، وتتغير الموازين بسبب انفتاح عالم الغيب على عالم الشهادة، وتلك هى أزهى وأسعد الأوقات فى تاريخ البشر.

وبعد ذهاب الرسول بفترة قليلة كانت رسالته تُحرف فيضل الناس. فتأتى رحمة الله برسالة جديدة لتصحح وتهدى وتبشر وتنذر.

فمثلا حين نزلت التوراة كانت [هدى ونور] ثم حرفها الذين استحفظوا عليها، وحين جاء المسيح (عليه السلام) بالإنجيل كان أيضا ﴿فيه هدى ونور﴾، ولكنه حُرف وصار بدل الإنجيل الواحد مئات الأناجيل المتعارضة والمتناقضة، ثم كانت الرسالة الخاتمة التى تكفل الحافظ (تعالى) بحفظها إلى الأبد.

# نحن والعوالم

العوالم (جمع عالم) هى – فى تصورنا – منظومات الوجود، الأرضى والسماوى. والعالم مخلوق مركب ومتغير، له أطوار وبدايات ونهايات ووظائف. ومن هدى رب العالمين نستشف ونوقن بأن خلق ربنا لا يحده حد ولايقيده قيد، ولا تحكمه – فى الحقيقة – إلا المشيئة العليا وسننها الحكيمة. وعظمة الخلاق (سبحانه وتعالى) يتجلى لنا منها ذلك التنوع الهائل فى المخلوقات، والعوالم التى تفوق الحصر، وكلها طائعة عابدة لربها، عاجلا أو آجلا، ﴿إن كُلُّ من فِى السماواتِ والأرض إلا ءاتى الرَّحمنِ عبدا – (٩٣) مريم﴾.

وكل مكونات الخلائق تسبح بحمد خالقها (تعالى)، ماعلمناه منها ومالم نعلمه، ﴿تُسبّحُ لَهُ السّماوات السّبعُ وَمَن فِيهِن وَإن مِن شىءٍ إلا يُسبّحُ بحمدهِ وَلكن لاتَفقهُون تسبيحَهُم إنّهُ كَان حليماً غفُورا – (٤٤) الإسراء﴾.

وعدم الفقه فى هذه الحالة يعد رحمة؛ فلو فقهنا تسبيح العوالم الأخرى لصعب الأمر علينا بسبب ماسنشعر به من تقصير عندئذ، ولذبنا خجلا من تصرفاتنا، فى مقابل العفو الإلهى الذى نجهله حاليا، هذا

فضلا عن عجز حواسنا وعقولنا عن استيعاب كل تلك النوعات من التسابيح الخالصة.

فكل العناصر المشاركة فى تكوين الوجود تشترك فى التسبيح لخالق الوجود - تبارك وتعالى - كل عالم يكفيه أن يفهم بعضه وبعض ما حوله، ولا يستطيع أن يستوعب من بقية العوالم إلا ماهو مقدر له، بقدر الحاجة.

والتسبيح هو تمجيد المجيد - عز وجل - وتنزيهه عن كل ما لا يليق بجلاله (تعالى). والتسبيح البشرى يكون بالقلب أو باللسان او بالفعل، أو بما لانعرفه. ولذلك فالتسبيح يُعد أشمل من الذكر، فالذكر بالنسبة لنا هو مانعرفه، أما التسبيح فمنه ما نعرفه ومالا نعرفه، ﴿... كُلٌ قد علم صلاتهُ وتسبيحهُ .... الآية (٤١) - لنور﴾، ﴿.... ولكن لاتفقهُون تسبيحهُم ... الآية (٤٤) - الإسراء﴾.

تلك هى العوالم المُسبّحة التى أبدعها ربنا، رب العالمين. الكل - من حولنا - يسبح باسم العظيم الاعلى، وهذا حقه الخالص - تبارك وتعالى.

الكل يعبد، شاء أم أبى، فمن أسلم وعبدطائعا فقد سُعد وتنعم وفاز بلذة وحلاوة العبادة واتصل برحاب الملكوت وهو مازال فى الحياة الدنيا. ثم يفوز بالنعيم الابدى فى الدار الآخرة.

اما من أبى واستكبر سبحت مكونات جسده – رغما عنه – شاهدة على كفره وهو لايدرى، ويخسر نفسه ودنياه وآخرته، وهذا أشد الخسران.

# تعدد العوالم

من المسلم به أننا مهما أوتينا من علم فلن نحصى مسميات العوالم اللامحدودة، وبالتالى فلن ندرك من تشابكاتها المحكمة إلا القليل؛ لأن ذلك يفوق طاقة إدراكنا المحدودة. وهذا القصور لايمنعنا من السعى لإدراك ما يتيسر إدراكه بعون الله – تبارك وتعالى – والقليل من دعائم الإيمان هو الطريق إلى الكثير. ومن الملاحظ أن هذه العوالم تتداخل وتتعاون بالفطرة التى فطرها الله عليها، وبدوام قيوميته؛ لتحقيق الغايات الإلهية من الخلق.

ومن واجبنا – كعقلاء – أن نفهم دورنا وموقعنا بين العالمين؛ لنؤدية ونقوم به خير قيام، ولنحسن التعامل معها؛ حتى نستحق رضا خالقنا الذى سخر لنا تلك العوالم. ومن المنطق أن نبدأ فى السرد والتأمل من بداية الإدراك، فنجد أنفسنا (عالم البشر) أول وأهم العوالم بالنسبة لنا، ثم بعد ذلك نجد العوالم المرئية ثم نحاول تقصى العوالم الغير مرئية. فمن العوالم المرئية (المشهودة)، عالم الجماد، عالم النبات، عالم الحيوان، عالم البحار، عالم الذرة، عالم الأفلاك .... إلخ. ولكن نظرا لتعقيد عالم البشر فيفضل أن نبدأ بالعوالم التى نحسبها أبسط من حيث الرصد والتصنيف والفهم.

ومن العوالم الغير مرئية (الغيبية) عالم الفكر، السماوات السبع، عالم الملائكة، عالم الجن، عالم الشياطين، عالم البرزخ، العالم الاخر .....الخ.

وكل العوالم التى نلمسها أونستشعرها أو نعرف بعض أخبارها، كلها فى الأساس تبدو لنا كطاقة تتحول من صورة إلى أخرى، نصطدم بها، وتؤثر فينا وتتموج فينا ومن حولنا وبعيدا عنا، ولا ندرك منها ولا عن مصادرها وسلوكياتها ولغاتها إلا اقل القليل. أما العوالم الغير مرئية فهى اشد أستعصاء، على مداركنا.

التشابك الهيكلى وتناسق الأداء لهذه العوالم، المشهودة والغيبية، وتبادل المكونات والمؤثرات والإشارات فيما بينها بتوافقات عجيبة – نلمس بعضها – هى فى مجملها تدلنا على تفرد الاصل والمنبع، وتوحد الغايات الحكيمة، وعظم سلطة التحكم اللطيف فيها. فلكل تحول غاية، ولكل نشاط هدف وكلها منح مجانية خالصة من الكريم الوهاب. ولانشعر بعظم تلك الهبات إلا عندما نفتقدها أو نحاول أن نصمم نظاما ليؤدى وظيفة صناعية، مهما كانت محدودة.

العوالم من حولنا تشاركنا فى نفس الحيز أحيانا، وتتعامل مع نفس الأشياء التى نتعامل معها وترس لنا وحولنا الإشارات المختلفة – بلغتها الفطرية –وتمارس وظائفها بانضباط، ونحن لاندرى فى اغلب الأحيان. فعملية التمثيل الضوئى – مثلا – نرى نتاجها، وأيضا نلمس

جانبا من تأثيرات الأشعة الكونية المُرسلة من أعماق سحيقة فى الكون؛ لتشارك فى تأدية وظائف، منها تكوين ﴿السّحَاب المُسَخر بين السماء والأرض﴾؛ ليحى به الله الأرض الميتة، ويطعم ويسقى الأفواه التى خلقها، لا إله إلا أنت سبحانك.

يحدث الخلط فى الأفهام حين يتم التفكير فى عالم ما بقوانين عالم آخر، رغم أنه من المعلوم للسطاء أن قوانين البحر – مثلا – لا تصح فى الجو، وقوانين الغابة لاتصح فى المجتمع الإنسانى، وقوانين الأرض لاتصلح فى السماء، وحياة البرزخ تختلف تماما عن الحياة على ظهر الأرض.

ورغم ذلك فقد أضاع المتفلسفون والمجادلون أعمارهم فى ضلالات وهرطقات تتخبط فيما يتعلق بعلوم الغيب بمفاهيم ومنطق عالم الشهادة! يقيسون غائبا بشاهد! ؛ ليبرهنوا بطريق الخطأ على صحة الوهم الذى يشغل العقول الفارغة!!!

وبرغم معلومية ماذكرناه آنفا وما سنذكره لاحقا، نجد البعض ممن ينتسبون للعلم المادى والفلسفة المادية، وممن يحملون الشهادات المُفخّمة، يتساءلون للتضليل، أو فى بلاهة: هل نحن البشر نعيش وحدنا فى هذا الكون؟!

يحدث هذا بينما كلام العليم الخبير ينساب – فى العالمين – نورا لكل ذى عينين، حقا ﴿... فإنها لا تعمى الأبصارث ولكن تعمى القُلُوبُ الّتى فى الصُدُور – الآية (٤٦) – الحج﴾.

ويتم انفاق المليارات فى مجال الفضاء للبحث عن حياة طينية مثل حياتنا!! ولابأس من البحث عموما، ولكن الخطا يأتى من الإصرار على ان يكون التصور قاصرا على العالم الطينى فقط، رغم وضوح أن خلق البشر من طين ليس هو قاعدة الخلق، بل ربما يكون هو الاستثناء، ولذلك تعجبت الملائكة حين أبلغها ربنا – جل وعز – قائلا : ﴿... إنّى خالقٌ بشرا من طين – الآية (٧١) ص﴾، عجيبة!! من طين؟

وعلى مستوى الطين، يلاحظ أن العوالم الأبسط – من حيث التركيب – كالجمادات هى الأشد استغناء وثباتا، بينما العوالم المعقدة التركيب كالبشر هى الاشد احتياجا لغيرها وهى الأسرع تحولا.
وفى هذا العصر بالذات تتكاثر احتياجات الإنسان المادية وتتجذر عبوديته للمادة فيزداد ضعفا على ضعف، وهو يشعر بالعكس – ولاحول ولاقوة إلا بالله.

# تعاون العوالم

جميع العوالم تتحد وتشترك فى أصل المنشأ وفى حقيقة الخضوع الجبرى لعظيم الوجود – تبارك وتعالى. ولذلك فلا يوجد عالم يعمل بمفرده منعزلا عن بقية العوالم. وذلك لأسباب، منها:

١. جميع العوالم وُجدت لتؤدى وظائفها المتكاملة وفق مراد الواجد (تبارك وتعالى)، وليس وفقا لهواها.

٢. العالم (المنفرد) لا يملك مقومات وجوده، بل هى جميعها تنبع من مشيئة الخلاق (تعالى)، وموزعة بحكمة لدى بقية العوالم.

٣. الغايات المُقدَرة لاتكتمل إلا من خلال التشابك البديع لمجموعة من العوالم المُسخرة.

٤. العديد من العوالم متشتركة فى بعض المُتغيرات والمحددات، كصور المادة والطاقة وأبعاد الزمان والمكان.

ففى الأداء التعاونى بين العوالم نرى المياه (مثلا ) تتبخر مجانا – بكميات هائلة – بتعاون من عالم النجوم (للتسخين) وعوالم البر والمحيطات الشاسعة (عالم البحر) ويرتفع بخار الماء فى عالم الجو ليتكثف (مجانا) ثم تتساقط المياه مباركة بفضل ربها؛ لتستمر حياة ونشاط العوالم النباتية والحيوانية. هكذا تتعاون عوالم الأرض مع عوالم السماء الدنيا (الفضاء والأفلاك) لتوليد النعم، حتى بدون تدخل البشر.

ويشعر بعظم مثل هذا الفضل المهندس المؤمن الذى يعمل فى مجال تحلية المياه؛ لأنه يعرف كم يتكلف لكى يُقطّر المتر المكعب فى حيز معزول نسبيا، أو لكى يُشغّل محطة التحلية ويلوث البيئة بنُظم تعتبر غاية البدائية والضآلة بالنسبة لعظمة النظم الإلهية المجانية.

وبفهمه المحدود، يستطيع الإنسان أن يتخيل المناطق المدارية الحارة (للأرض) كغلاية تبخير، والمناطق القطبية (الباردة) البعيدة كمكثف فى محطة تقطير حرارية هائلة، من صنع العليم الخبير، ولله المثل الأعلى.

ونفس الشىء فى تصميم وتشغيل نظم الإضاءة الصناعية، فمن يعمل فى هذا المجال يدرك قيمة ضوء النهار الطبيعى الذى جعله الكريم آية وهبة خالصة للخلائق، تتعاون فى إنتاجها العوالم المُسخرة، بانتظام غاية فى الانضباط ﴿وقَليل من عِبادِى الشكُور﴾.

تباركت ربى وتعاليت.

وكل فى مجال تخصصه وخبرته يجد الأمثلة التعاونية عديدة.

هكذا عوالم الكون المنظور تتبادل الأشياء مع بعضها شاهدة بعظمة قول ربها ﴿.... يعلمُ مايلِجُ فى الأرضِ وَما يخرُجُ مِنهَا وما ينزِلُ من السَماء وَما يعرُجُ فيهَا وهُو معَكُم أين ما كُنتُم واللهُ بما تَعمَلُون بصيرٌ – (٤) الحديد﴾.

العوالم تتعامل مع بعضها أحيانا بوعى وشىء من الإدراك، وأحيانا أخرى بالتسخير الذى لا ندركه نحن ولا هى، وهو فى علم الله، لكن من المؤكد أن هناك حد أدنى من الحس (والاستجابة) لأى مخلوق؛ حتى يجيد تأدية وظيفته التبادلية بين العوالم.

وفى تعاملنا مع الجماد والنبات – مثلا – نجد لدينا حصيلة لابأس بها من المعارف التجريبية الحسية لتى نسترشد بها فى تعاملاتنا معها، ونتعلم منها دروسا فى التعاون، ولا يسلم الأمر من الأخطاء؛ بسبب قصر النظر.

أما فى التعامل الذى بيننا وبين وعوالم الغيب – كالملائكة – فليس لدينا بخصوصه سوى الأخبار التى وصلتنا عبر رسالات السماء، ومن خلال من اهتدى بهديها من الصادقين من البشر.

وفى الكون من حولنا نلمس العديد من الظواهر التى تؤثر فينا ولم نستطع تفسيرها بعد. فمثلا لماذا تدور الشمس حول محورها يمينيا (أى عكس عقارب الساعة)، ولماذ تدور الإلكترونات حول نواة الذرة فى اتجاه الدوران (يمينيا)، وهو أيضا نفس اتجاه الدوران فى الطواف المشروع حول الكعبة المشرفة!

ماهى الروابط التوافقية الخفية بين هذه النظم العجيبة؟

وماذا يحدث لنا بسببها؟

.... لاندرى.

القوى التى فى ذرات أجسامنا تتبادل التأثيرات مع القوى المحيطة بنا ونحن – فى أغلب الأحوال – لانشعر بذلك!

# المادة

في حياتنا الدنيا، ألفنا التعامل الآلي مع المادة – والمادة فقط – حتى أصبحت الغالبية العظمى من البشر تتصور كل شيء بصورته المادية البحتة، وبهرنا سحر المادة وما باحت به من أسرار وظيفية – رغم أنها مجرد نعمة مسخرة إلى حين – وأصبح للمادة سلطان شديد على النفوس، وهذا خلل خطير في التصور البشري، مما جعل الناس يعبدون الصنم والبقر والحجر والشر والهوى والشهوات والوهم[٥].

وهنا يلزم مراجعة سريعة لماهية المادة، في ضوء العلم الحديث؛ لتوسيع مدى الرؤية العقلية والاقترب من التصور الصحيح للأمور بقدر مايتيسر[٩].

فلفظ "مادة" عموما – في اللغة العربية – يقصد به كل شيء يكون مددا لغيره، بمعنى أنه هناك ماقبله وما بعده؛ فالمدد لايكون من فراغ ولا إلى فراغ، فما يسبق المادة ليس مادة، وما وراء المادة ليس مادة.

هذا ولا ننسى أن اللغة، باعتبار أن أغلبها منتج عقلي، لذلك فلا يشترط في أصل صياغة مفرداتها أن تكون مرتكزة على الحقيقة المطلقة، لكنها في الغالب ترجع إلى تصورات من صاغ أو شارك في صياغة ألفاظها، وكيف تطور معنى اللفظ بعد ذلك.

هذا ونشير إلى تميز الألفاظ التي وردت في الذكر الحكيم فاكتسبت الدقة والدلالة التي وردت في الصياغة الحكيمة.

والمعنى الخاص (الدنيوى) للمادة هو : كل جسم ذى امتداد وكتلة وبالتالى يشغل حيزا مُدركا. ومادة الشيء هى مجموعة العناصر الدقيقة التى يتكون منها.

وعلى ذلك فمادة الكون يمكن أن نعتبرها: هى بعض ما أوجده الله – عز وجل – من العدم وتجرى عليها التحولات وفق النواميس التى قدرها العليم الحكيم.

والمعنى الأخص (أو الفنى) للمادة: هو ما نستشعره بحواسنا أو بما يقوم مقام الحواس من أجهزة صناعية ومعدات وأدوات مساعدة ووسيطة، كالتلسكوب والميكروسكوب وأجهزة الأشعة والاستشعار وغيرها، أى أن المادة هىّ مكونات العالم المشهود (الظاهر أو المنظور) الذى يفتتن به الكثير من الناس فى انبهار كالأطفال، وفى سذاجة كالبلهاء.

ولعله من أبرز ما يشير إليه الفكر البشرى (التصورى) الحديث، الذى لايسلم من الخطأ – بخصوص البداية المادية لكوننا – هو ما يسمى بنظرية (الانفجار الكبير The Big Bang Theory) التى تقول بأن الكون (المادى) قد بدأ فى لحظة محددة إثر انفجار مادته التى كانت جميعها محتواه (أو محصورة) فى حيز متناهى فى الصغر – بالنسبة لحجم الكون الحالى – وهائل الكثافة مما سبب الانفجار، وكانت لحظة الانفجار هى بداية المكان والزمان وتحيز المادة. ورغم أن نوعية تلك المادة التى بدأت بها هذه العملية (الانفجار) تفوق طاقة التصور البشرى، إلا أن العقل لا يرفض قصتها (حاليا)؛ ربما فى سياق

البحث عن: ﴿كيف بدأ الخلق ؟﴾، وإن ثبت عدم صحة تلك النظرية، وهذا هو المتوقع، فلاباس فقد ثبت خطأ الكثير قبلها؛ لأنها بنيت على علم محدود وفكر مشوش، ولا علاقة لها بالعقيدة، بل هى مجرد نظرية.

وشدة تأثر العقل البشرى (اللامادى) بطغيان التأثير المادى، وعجز العقول عن تصور ما وراء المادة جعل الكثرة من البشر تعبد المادة؛ لأن آثارها هى المألوفة للحواس والمطبوعة فى الأذهان، وهى التى تحكم نوعية التصورات وبالتالى التصرفات، والآثار المادية نجدها مطبوعة حتى فى الأجساد، على هيئة سمنة، جروح، ألوان، نشاط، أثقال، إفرازات، أمراض عضوية، تشوهات .....إلخ.

وهذه التأثيرات البارزة للعين تغذى العقل بمعلومات ثقيلة وقاصرة، فتدخله فى دورات تلقائية، تضاعف التأثير المادى على التصورات العقلية.

وينتج عن ذلك ما نلمسه من طغيان الشق الجسدى على الشق الروحى فى الإنسان(٩).

وقد بين العلم الحديث أن الكون المنظور من حولنا هو صور متعددة من صور الطاقة المؤقتة، وما المادة التى تشغلنا إلا طاقة متحيزة تتراقص أمام أعيننا فتشكل معظم التأثيرات والتصورات التى تبهرنا وتأسرنا.

# الزمن

الزمن في فهمنا هو الامتداد (البعد) الخفي الذي تتشكل فيه الأشياء وتتوالى فيه الأحداث، فتبرز فيه مشيرة إليه دون أن يظهر هو إلا ببعض علاماته التي تعودناها في تصوراتنا وهي ليست مطلقة، فحين تختفي الأحداث والعلامات يهرب -منا - معنى الزمن وينعدم الإحساس به.

وكذلك حين تخمد الأحداث أو تفتر، عندئذ نشعر بفتور معنى الزمن وبطء حركته، وأحيانا الملل منه. وقد بين لنا ربنا - جل وعلا - هذه المعلومة في أكثر من موضع في كتابه العزيز: ﴿وهُوَ الّذي جَعَل اللّيل والنّهار خِلفةً لمن أراد أن يَذّكّر أو أرَادَ شُكُوراً - (٦٢) الفرقان﴾.

تلك علامات تُشعرنا بتوالي وحدات الزمن الدورية لنرتب فيها أعمالنا.

هذا وقد ذُكر الوقت المعلوم، والحين بمعناه الشديد التفاوت، وذُكرت الفترة وهي المدة (الزمنية) التي تفتر فيها الأحداث والوقائع. فمثلا لو افترضنا وجود شخص ما (حي) في مكان مظلم تماما، فلولا النشاطات الحيوية الحادثة في داخل جسمه وجوارحه ما شعر بأن هناك زمن يمر، لكن نبضات قلبه وحركات أنفاسه هي التي تُشعره بتجسيم الزمن في تصوره. وحال الموت شاهد على قبض الزمن (المعتاد) بالنسبة

للميت، وحين يُبعث الميت يقول: مالبثت غير ساعة! ولانعرف أى ساعة يقصد؟

وفى لحظات الاحتضار يتمدد الزمن لدى المحتضر ليرى الكثير مما كان يحتاج لوقت طويل كى يراه فى حياته العادية. ومثال الذى يحلم خير شاهد على مرونة الزمن وتفاوته الشديد بين العوالم، فالحلم، الذى لايتجاوز زمنه بضعة ثوانى، يرى النائم فيه أحداثا قد يستغرق حدوثها فى اليقظة ساعات، فأيهما هو الزمن، الثوانى أم الساعات؟

انها أزمنة، ربما تكون متوازية لكنها ليست متساوية. وحتى فى حال اليقظة نرى الساعة تطول وكأن العقارب لاتريد أن تتحرك عندما نكون فى انتظار حبيب زاد شوقنا إليه ونريد من الزمن أن يسرع الخطى.

ونرى نفس عقارب الساعة وكأنها تسرع الخطى حين نكون فى انتظار مانكره. هذا مانلمسه ونتأثر به، ولكن ماألفناه من انضباط فى حركة عقارب الساعة يجعلنا نُكذب أحاسيسنا ثقة فى الجماد الذى صنعناه بأيدينا! ويبدو أن الزمن بالغ المرونة ولكل شىء زمنه الخاص.

وهذا المتغير الخفى (الزمن) اكتسب مسمياته من التغيرات التى نلاحظها، فهو قاسم مرن ومشترك تتوازى فيه التحولات وتتتابع الصور، وسعته لانهائية، ولذلك فهو أوسع وأعجب من المادة والمكان، ولكل شىء زمنه ومقاييسه الخاصة به؛ لأن كل شىء فى الوجود يدخل فى

مجموعات من الدورات الزمنية المتباينة، و ﴿اللهُ يبدؤُا الخلق ثُمَ يُعيدُهُ، ثُمَ إليه تُرجعُون (١١) - الروم﴾.

وبالنسبة للمُكلف فالزمن هو الامتداد العجيب الذى لايعوض ولا يُسترجع، وأيضا الزمن هو طول مجموعة الصحائف التى تسجل فيها الأعمال، خيرها وشرها - بالنسبة للبشر - تلك المُدة هى نصيبنا مما نسميه الزمن.

والزمن بأحداثه يبدو لارجعى (Irreversable) ، أى أنه لايمكن لمخلوق أن يعيد الزمن للوراء خطوة واحدة مهما صغرت، ولايمكن إيقاف الزمن.

وما يقال فى مجال العلوم الوضعية أن بعض العمليات يمكن عكسها والعودة بالحال إلى ماكان عليه، هو قول غير دقيق. والعكس (الإرجاع) الذى يدّعونه يكون: إما ظاهرى أو تقريبى أو مجازى، ولكنه ليس حقيقيا؛ فنحن فى كل لحظة فى زمان ومكان مختلفين، وهذا لاينفى إمكانية تصحيح الأخطاء؛ فذلك عمل تعويضى لاحق وليس استرجاعى.

وكل لحظة تمر هى مخصومة من عمر المخلوق وهو مسافر فيها بين العوالم المختلفة، والإنسان يعيش بين ماض قد طوى إلى الأبد وبين مستقبل ينفتح بقدر غيبى.

وفى الفصول التالية سوف نلاحظ أن كل العوالم باستثناء الجن والإنس - أشفقت على نفسها مما قد يحدث ويستجد مع توالى علامات الزمن، فرضيت بالخضوع المطلق لجبار الأرض والسماوات، سبحانه وتعالى.

أما الإنسان فقد تفوق على كل شيء - حتى على الجن - فى الغرور، وفى كثرة الجدال حتى صار وكأنه يهواه، وتلك مصيبة خافية.
﴿... وكان الإنسانُ أكثر شيء جدلا - (٥٤) الكهف﴾.

obeikandl.com

# عالم الجماد

الجماد هو ماألفنا ألانرى فيه حياة بالمفهوم الذى تعودناه. والجماد يبدو بلا إرادة، فهو لا يبدأ (يبادر) من نفسه، ولا يتحرك بذاته، بل هو مأمور ومستجيب للأوامر. فحن نرى الجماد يؤدى دوره المقسوم بلا عقل – كالذى نعرفه – لكنه مسخر بالخصائص المميزة التى زوده الله (تعالى) بها. ومن أمثلة الجمادات: الذرة، الصخر، الحجر، قطع الأخشاب، الحفريات، الحديد، النحاس، الأملاح، الماء،الزجاج، الجبل، القمر، الآلات، جثث الموتى ..... إلخ.

ووجود عالم (أو عوالم) الجماد ضرورى وأساسى لوجود عوالم الأحياء من نباتات وحيوانات وغيرها؛ فمن الجمادات نرى الحياة المادية تنشأ (تُبث) بأمر ربها – تبارك وتعالى. فعالم الجماد هو الأساس الظاهر للعوالم المادية، وهو الذى يغذيها جميعا بمعظم المقومات المادية للحياة، وعليه فالجمادات تعد من النعم، التى يجهلها الجاهلون.

وعالم الجماد شديد التنوع، فتنوعات الجمادات بالملايين ولايحصيها إلا من أبدعها، وكلها تعرف ربها، رب كل شىء ــ تبارك وتعالى. والجمادات فى رؤية العوام والجهال – من الناس – هى مجرد

تنوعات من الأشياءالغير حية والعديمة الحس والعواطف، تُستخدام عند اللزوم وتُلقى بعد ذلك فى اى مكان وعلى أى حال.

ولكن عند أولى الألباب، الجمادت هى نعم مسخرة ومستسلمة لأوامر ربها (تعالى) ولتأدية الأدوار المحددة لها وفق النواميس التى قدرها الخلاق العليم – تقدست أسماؤه وتباركت آلاؤه.

وقبول االجمادات للتسخير يعنى غاية التواضع والرضا والإشفاق والتسليم المريح لرب العالمين، وبالتالى الاستغناء عن الخلائق. ولذلك فالجماد لايقلق؛ لأنه بلامطلب، وقد اختار العبودية المطلقة من البداية فاستراح من هموم المحاسبة والقلق على المصير.

وبالتسخير المحكوم – للجمادات – يُبرز لنا الحكيم (تعالى) بعض آياته، فيعرفها من يعقلون ويتفكرون، فتطمئن قلوبهم.

الجماد بعكس الإنسان، الذى لاتنتهى مطالبه ويتضخم غروره، ويقول فيه ربنا: ﴿إنَا عرضنا الأمانة على السّماوَات وَالأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسانُ إنَهُ كان ظلُوما جهُولاً (٧٢) – الاحزاب﴾. ذلك من أنباء الغيب التى أخبر بها الذكر الحكيم. لذلك يعيش الإنسان العاصى فى قلق متواصل وهموم لاتنتهى.

# برزخ الذرة

الذَرة (المفردة) تعتبر عالم دقيق التصميم والتراكيب، هائل الأبعاد، وعديد الخصائص، عديد اللغات. من هذا العالم الدقيق – الحرج –

يبدأ الطريق الموصل إلى أعتاب عوالم الغيب. برزخ الذرة هو الطريق الذى يبدو كأنه يوصل إلى لاشىء؛ لأنه بتفتيت الذرة يبدو لنا أنها تنساب مسرعة فى الخفاء السحيق نحو اللارجعة، لكن فى النهاية البعيدة (العميقة) لهذا النفق البرزخى تلتقى بدايات كل شىء.

وهكذا الأشياء فى عالم الغيب لها ما يتصل بها أو يدل عليها فى عالم الشهادة، حتى ولو كان هناك برزخ يحجز (يفصل)؛ فالبرزخ دليل – بينى – على وجود جانبين مختلفين.

عالم الذرة برزخ يفصل بين بعض عوالم الغيب وعوالم الشهادة، فتجمعات الذرات تُرصد وترى وتُحس ونتعامل معها وبها ليل نهار ويمكن أن تثبت أمام أعيننا إلى حين، أما فتات الذرة فلا يرى ولكن يمكن رصد بعض تأثيراته الموقوتة، وتجرى المحاولات لوضع نظريات أو تصورات صحيحة عن سلوكياته ومستقره.

برزخ الذرة عالم يمتص (يبتلع) الضوء والتموجات بقدر ونوعية، ويعكس ويشع بنوعية مختلفة، ونراه يمتص حرارة ويُشع حرارة مختلفة، وتسرى بعض مكوناته فى المادة وفى اللامادة؛ فهو نظام منضبط له إدارة محكومة بالغة الديناميكية واليقظة والحكمة، نظام لا ينام، ولا نعرف كيف يحدث ذلك! هذا من العلم الإلهى الفاعل فى مكونات الذرة والمسجل، من البداية حتى النهاية، [فِى كِتَابٍ مُبِينٍ].

ويشير الذكر الحكيم إلى برزخية هذا العالم العجيب، ﴿.... وما يعْزُبُ عن رَبّك من مثْقال ذرّة فِي الأرض ولا فِي السّمآء ولا أصغر من ذلك ولا أكْبر إلا فى كتابِ مُبِينٍ – الآية (٦١) - يونس﴾.

هكذا يأتى ذكر [مثْقَالِ الذرّة] كفاصل (برزخ) بين ماهو اصغر منها وبين ماهو أكبر. و[مِثْقَالِ الذرّة] موجود بأطرافه فى الأرض وموجود فى السماء، يمتد بين المادة واللامادة، وبين الغيب والشهادة، .

# الغيب والشهادة

لايخفى على القارئ انكار العديد من العقول الضالة للغيبيات. والحياد الخالص للجمادات (الغير عاقلة) يجعلها مناسبة للتدليل على وجود عالم الغيب كما هى دليل على وجود عالم الشهادة. فعالم الشهادة هو الذى نلمسه بحواسنا: كالسمع والبصر واللمس والشم والتذوق ....إلخ. أما عالم الغيب فيُدرك بالعقل السليم، وليس بغيره.

وأبرز أمثلة الأشياء المشهودة الترددات الصوتية التى فى المدى المسموع من ٢٠ إلى ٢٠٠٠٠ ذبذبة فى الثانية إن كانت شدتها ١ "ديسيبل" فما فوق. أما غير ذلك كتردد ٢٠٠٠٠٠٠ ذبذبة فى الثانية (مثلا) فلا يمكن سماعة رغم وجوده لكنه بالنسبة للأذن خفى بل شديد الخفاء رغم أنه قد يؤذيها .

ونفس الشيء بالنسبة للبصر فالعين تشعر بتردد الأشعة الضوئية في المدى من الأحمر للبنفسجي (ألوان الطيف)، وهذا المدى بالغ الضآلة وسط الترددات الهائلة التي يموج بها الكون الغير مرئي، ويمكن أن تفتك بنا لولا ستر ربنا (تبارك وتعالى)، ونحن لانبصرها.

فالموجات ذات الترددات المنخفضة نسبيا كموجات البث الراديوي والتلفزيوني وموجات الرادار وتموجات الأشعة تحت الحمراء كلها تسقط على العين ولكن العين لا تبصرها.

والموجات ذات الترددات العالية كموجات الأشعة فوق البنفسجية والأشعة السينية وأشعة جاما لاتبصرها العين رغم شدة خطورتها علينا، والحافظ هو الذي يحفظنا ونحن لانشعر. وكل هذه التموجات ماهي إلا قليل من كثير لانعرفه، لكن لايستطيع العاقل أن ينكر وجوده وتأثيراته حتى وإن كانت خافية.

كل هذه الخفايا لاتدركها الحواس بشكل مباشر لكن يبلغنا خبرها بواسطة الأجهزة المصنوعة من الجمادات!
مما يدل على تفوق الجماد علينا حسياً.

ولكن ما يتعذر علينا إدراكة بالحواس يمكن أن نتوصل إليه بالعقل السليم: لأن العقل ليس مادة كما أن الغيب ليس مادة، كتلك التى نعرفها.

# إحساس الجماد

لقد ثبت أن للجمادات حواس وهى تنفعل وتتكلم فى حدود أدب الوظيفة، وتسلك السلوك المحدد وفق النواميس المرسومة، وترسل اشاراتها - بشفرتها - لنا ولغيرنا، وتعبر عن انفعالاتها فتتمدد بما تمتصه من طاقة حرارية، وتتحول من طور إلى طور، وتتأثر بطاقة الرياح، وتستجيب للقوى المؤثرة، وتستقبل الأصوات والإشعاعات فتمتص منها وتعكس وتشع وفق قوانين أصبحنا نعرف بعضها، وماخفى كان أعظم.

وانفعال الجماد لايتجاوز انفعال المُشاهد المحايد، والنزيه الملتزم بحدود وظيفته، فلايبدأ من نفسه إنما يستجيب للمؤثرات والأوامر.

وفى جميع الأحوال فالجمادات تُلهم التسبيح وتسعد بالمسبحين وتتجاوب معهم بفطرتها وعاطفتها الإيمانية، وفيما يلى نذكر بعض الأدلة:

١. الجبال - هى ككل عباد الرحمن -تسبح خالقها كما بين الذكرالحكيم: ﴿إنّا سخّرنا الجِبَالَ معهُ يُسبّحنَ بالعَشِيّ وَالإشرَاقِ (١٨) - ص﴾.

٢. أخرج الإمام البخارى - فى صحيحه - عن جابر بن عبد الله (رضى الله عنهما) قال: "كان مسجد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) مسقوفا على جذوع النخل، فكان النبى (صلى الله عليه وسلم) إذا خطب فى المسجد يقوم على جذع منها. فلما صنعوا له منبرا فكان عليه، سمعنا لذلك الجذع صوتا كصوت العشار؛ حزنا لفراق النبى له، حتى جاء النبى (صلى الله عليه وسلم) فوضع يده عليه فسكن".

٣. أخرج الإمام الترمذى -فى صحيح السنن - عن على بن أبى طالب (كرم الله وجهه) قال: "كنت مع النبى (صلى الله عليه وسلم) بمكة فخرجنا من بعض نواحيها فما استقبله جبل ولا شجر ولا حجر إلا قال السلام عليك يارسول الله".

٤. صح فى الحديث الشريف الذى أخرجه البخارى عن سهل بن سعد، والترمذى ومسلم عن أنس وغيرهم، قول الذى لا ينطق عن الهوى : " أُحد جبل يحبنا ونحبه".

الشواهد عديدة على حسية وعاطفية كل ما خلق العليم الخبير. ولكن بسبب الجهل فتعانى البشرية ويلات الاندفاع فى الضلالات، ويسئ

الإنسان معاملة هذه الجمادات (النعم) البريئة المسخرة، فعندئذ يصفر الشيطان ويرقص أعوانه شماتة فى جهل الإنسان.

وغاية مايقوله معظم المنتسبين للعلوم المادية (وحدها)، يقولون: الشيء الفلانى صار وخبيث، يوجد ندرة وعجز فى عنصر أو مادة كذا، مستقبل البيئة فى خطر ، الموارد ستنضب، يوجد خلل فى كذا ..... إلخ!!
الجُمل كلها ناقصة!

نعم مستقبل البيئة فى خطر بسبب إفسادكم، ألا تراجعون أنفسكم؟ متى تفهمون الحكم وتصححون تصوراتكم للحياة؟ فتستخدمون هذه الجمادات وتتعاملون معها بأدب وبلا تبذير ، وفى حدود تعاليم خالقها – تبارك وتعالى.

نسمع من بعض المتعلمين عبارات مثل: غضب الطبيعة! قلة الموارد! مشكلة الانفجار السكانى...!! أيضا الجُمل مازالت ناقصة والصياغة مبتورة، والحكمة غائبة، فكأنهم يتعاملون مع كُتل صماء بكماء خُلقت عبثا وأنفس تساقطت بعشوائية من الأرحام قبل أو بعد التبول! والخلاق كف عن العطاء أو خلق ونسى أن يرزق! أو لم يحسن التخطيط قبل ان يخلق! أستغفر الله العظيم، ﴿كبرت كلمة تخرج من افواههم..﴾.

ياأيها الناس إن خزائن ربى لاتنفد ﴿وَلَو بسَطَ اللهُ الرِزقَ لِعِبادِهِ لبَغَوا فى الأرض ..... الآية (٢٧) الشورى﴾، تلك هى الحكمة، وقسمة الأرزاق ليست عن فقر، ولكن لحكمة وبقدر.

وعالم الذرة خُلق بقدر، ويتحرك بقدر، والحساب سيكون بمثقال الذرة. ولايوجد شىء عشوائى، كل شىء بفعل فاعل بأسباب، إنما نستخدم لفظ "عشوائى" حين نعجز عن تتبع ودراسة آلية السببية، أو نعجز عن الشعور بقيومية المسبب، [فما ظنكم برب العالمين؟].

عالم الجماد دليل حى على تداخل العوالم (الظاهرة والخفية) التى تشترك فى نفس الحيز والزمن، ففى نفس الغرفة وفى نفس اللحظة نجد العديد من الغازات والطاقات تؤدى الأدوار المطلوبة منها وكلها تتحرك سلميا (ممتزجة) فى نفس الحيز، ولكن عندما تبدأ فى الطاقة فى الانسحاب تتوجه المادة نحو السيولة أو التجمد، فعندئذ يتغير الحال وتتوالى الانسحابات المنظمة كل إلى حيز محدود وتبرز أشد صور التجسد الذى يتوجه نحو الجمود المحكوم والملتزم.

إذن فأمثلة الاشتراك السلمى فى نفس الحيز ظاهرة للعيان، حتى فى عالم الجمادات. أفلا تبصرون ياأيها العقلاء.

فى عالم الجماد تتجلى أنواع من الجمال البديع، نرى هذا الجمال فى بهاء اللؤلؤ ، وفى تناسق بلورات الكريستال، وفى بريق الذهب وألوان الالباستر وغيرها.
وفى الجماد (الأرض) تُدفن الجثث وتتغير صور المكونات استعدادا لتحولات تتطلبها دورات الحياة المتجددة – بأمر ربها عز وجل.

الطاقة والجمادات تمثل – مع بعضها – الهيكل الذى يضم الحياة المادية ويحتضنها بلا ضجر وبلا تقابل.

ومن الجمادات نُشكل المسكن الذى نأوى إليه والسلاح الذى ندافع به والملبس الذى يسترنا وأيضا نُشكل منه الملعب والمركب والحلى وغيرها.

والتعمق فى فهم عالم الجماد يستلزم التعمق فى دراسة تركيب الذرة، والمقام هنا لايسمح بذلك، لكن مما هو معلوم عن تفتيت ودمج الذرات نستطيع أن نستشعر الطاقات العديدة المختزنة فى الذرة التى لا تُرى بالعين المجردة ولا بالميكروسكوب المعتاد.

# عالم البحار

البحر مصدر الخيرات ومصنع العجائب وكنز الثروات (النعم) الحية النامية والكامنة فى الأعماق، وهو من جُند الله - تبارك وتعالى - وفيه لغات وشفرات وتداخلات لا نعرفها. وحين يشير ربنا (تعالى) إلى مواطن الحياة يربط بين البر والبحر ؛ باعتبار البحر هو الامتداد الصالح للحياة على ظهر الأرض بعد البر. والبحر هو الوسط بين صلابة اليابسة ورقة الجو، أى أنه الوسط بين مقومات الحياة المادية الثلاث.

فى عالم البحر يتعاون عالم الجماد مع عالم النبات مع عالم والحيوان؛ لإنتاج النعم والخيرات.

المخلوقات البحرية تُكوّن سلاسل غذائية متوازنة ومتكاملة يغذى بعضها بعضا، وتتولد الأرزاق لكل الكائنات البحرية، بدون الحاجة لتدخل الإنسان، ومن قبل أن يُخلق الإنسان. وفى البحر تعيش الأمم والفرق والجماعات من مختلف الأحياء.

البحر غير عاقل (فى تصورنا) لكنه يؤدى دوره - فى دنيانا - وفق نواميس التسخير الإلهية، وبلا هوى، ولايبدأ من نفسه، إنما يستجيب بأدب، وهو وسيط فى المرونة والطراوة بين الجو والبر، ولذلك فهو وسط الحياة.

وفى لغة العرب، يطلق لفظ البحر على الماء الكثير، سواء كان مالحا أو عذبا. ومن قول ربنا عن البحر: ﴿وما يستوى البحران هذا عذبٌ فُراتٌ وهذا مِلحٌ أُجاجٌ ومن كُل تأكُلُون لحما طَرِيا وتستخرجُون حلية تلبسُونهَا وترى الفُلك فيه مواخر لتبتغُوا من فضلهَ وَلَعَلَكُم تشكُرُون (١٢) - فاطر﴾.

وفى البحر آيات الجمال، و ﴿يخرُجُ منهُ اللؤلُؤ والمرجانُ (٢٢) - الرحمن﴾. والآيات عديدة، وفى البحار من الكائنات والتنوعات مايفوق اى حصر بشرى.

البحر هذا المخلوق العملاق تتم فيه من العمليات الإنتاجية - الفيزيائية والكيميائية والبيولوجية - مايفوق أى حصر بالإضافة إلى وظيفته فى التبخير وحفظ الماء من التلف وامتصاص التغيرات المناخية الطارئة وتنظيم البيئة الحيوية وامتصاص الغازات الضارة (بيئيا)، وإنتاج الغازات المفيدة. وبسبب هذه المزايا التى تتوفر فى البحر فعلى شواطئ البحار يعيش حوالى ٤٤٪ من جملة البشر، ولمسافات (أعماق)قد تصل إلى ١٥٠ كيلومتر من بداية الشاطئ.

وكان التصور - قديما - أن ماء البحر واحد، أى يتكون من نفس النوعية، ولكن ثبت مؤخرا أن ماء البحر عبارة عن طبقات ﴿بعضها فوق بعض﴾، كل طبقة لها خصائصها الفيزيائية والكيميائية المميزة، ولاتختلط هذه الطبقات ولا تنفصل عن بعضها، وهذا الاختلاف (الطبقى) مما يُصعب رصد الغواصات والأجسام البحرية - حتى بالموجات فوق الصوتية - وتتعذر الرؤية عبر الطبقات التى وصفها

الخلاق بالظلمات ﴿أو كظُلُماتٍ فِي بحر لُّجي يَغشاه موجٌ مِّن فوقِه موجٌ مِّن فوقِه سحاب ظُلُماتٌ بَعضُها فَوق بعضٍ إذَا أخرجَ يدهُ لَم يَكد يراها ومَن لَم يجعلِ اللهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ (٤٠) - النور﴾.

حقا إن فى البحر لعوالم.

# جند الرحمن

البحار من جند الرحمن المسبحة، الشديدة والمستغنية بربها والمنزهة عن الغرض والهوى، لكن بعاطفتها، يسرها مايرضى العزيز الحكيم ويغضبها مالايرضاه الرحمن. وقد علمنا - بالنقل الأمين - أن بحرا رقيقا - هو النيل المبارك - حمل الرضيع موسى (عليه السلام) برفق وحنو، إلى الموضع المقدر، بالقرب من قصر فرعون؛ ﴿فَالتقَطهُ ءالُ فِرعَون ليكُون لَهُم عَدُوًا وحزنا ... الآية (٨) - القصص﴾.

وبعد حين، وفى ساعة الحصار انفلق البحر (الأحمر) مسرورا ومُرحبا برسول رب العالمين -موسى عليه السلام - وودعه سالما هو وأتباعه، ثم انطبق هادرا غاضبا ليبتلع ويغيب رمز الكفر والطغيان، على مر الزمان (فرعون)، هو ووزيره (هامان)وجنودهما، ﴿.... إنّ فرعون وهامَانَ وجُنُودهما كانُوا خَاطِئِين - الآية (٨) - القصص﴾.

هذا هو تدبير من يصرف الآيات ويصنع المعجزات، وتلك هى النهاية السوداء المظلمة لكل طاغية هو وأعوانه وجنوده، ورموز الظلم فى كل عصر ومصر.

ومثال آخر للجندية المائية الملتزمة، حين اشتكى نوح (عليه السلام) إلى ربه (تعالى) شدة فجور قومه، سلط الله الماء على الأعداء، ﴿ففتحنا أبواب السَماء بماء مُنهمرٍ (١١) وفجّرنا الأرض عُيُونا فالتقى الماءُ على أمر قد قُدر (١٢) - القمر﴾، [وما يعلم جنود ربك إلا هو].

وحوت البحر قد احتضن بنى الله يونس بن متى (المُسبّح، عليه السلام) فى بطنه حتى عفا الله عنه وأخرجه سالما؛ لأنه كان من المسبحين، فاحتضنه نبات البر (اليقطين). إنها آيات فى العالمين، يعز فهمها على المتشككين والملحدين.

ودورة مياه البحار تقوم - فى دنيانا - بعملية التطهير اللازمة لتخليص مختلف العوالم المادية مما يشوبها من ملوثات ونفايات تفوق الحصر. ﴿.... ويُنزّل عليكُم من السَمء ماءَ ليُطهّركُم بِهِ ..... الآية (١١) - الأنفال﴾.

فالماء يطهر الإنسان - مثلا - من الداخل ليل نهار، ومن الخارج عند اللزوم يوميا. وقبل اتصال العبد بربه فى الصلاة أو فى الطواف فيلزم التطهر بالماء الطهور، ﴿..... وأنزلنا مِنَ السَماء مآء طهُورا - الآية (٤٨) -الفرقان﴾.

# الماء والحياة

الماء المعروف هو فى ظاهره هو مركب بسيط من عنصرى الأكسجين والهيدروجين، ويمكن إنتاجه معمليا من هذين الغازين. ولكن الماء

يختزن – فى باطنه – من أسرار الخلق ماينطق بعظمة وقدرة الحق – تبارك وتعالى – القائل: ﴿وجَعلنا من الماء كُل شىء حى – (٣٠) – الانبياء﴾. وفى الماء بركة ﴿ونزلنا مِن السّماء مآء مُباركا .... الأية (٩) – ق﴾، والبركة سر خفى، لا ندركه.

ونظرا لأهمية الماء فإنه يغطى المساحة العظمى من سطح كوكب الأرض، حوالى ٧١٪، منها ٥١٪ مياه سائلة و ٢٠٪ جليد قطبى، ونسبة قليلة تدور فى الغلاف الجوى.

فى ظروف الضغط الجوى – على سطح الأرض – يسيل الماء فى المدى الذى يتوسطه درجات حرارة جسم الكائن الحى (نبات – حيوان – إنسان)، أى فى المدى من صفر إلى ١٠٠م°. وتحت هذا المدى يؤدى الماء وظيفة الحفظ الجليدى المؤقت، أما فوق ذلك المدى فينشط الماء فى دورة التبخير والتنقية والتطهير التى لا تتوقف ليلا ولا نهارا.

ويتعذر حدوث أى عملية حيوية بدون وجود ماء. ويقول ربنا – تبارك وتعالى – منبها لذلك: ﴿.... وجَعلنا مِن المآءِ كُلّ شىء حى أفلا يُؤمنُون – الآية (٣٠) – الأنبياء﴾.

ولايمكن إنتاج أى غذاء للكائن الحى (الطينى) بدون ماء، فبدون الماء يتحول الطين إلى تراب وهو علامة الموات.

وبالماء يتم إحياء الأرض بعد موتها، كما يقول العليم الحكيم: ﴿... ويُنزّلُ من السّماء ماء فيُحى به الأرض بعد موتها إنّ فى ذلك لأيات لّقوم يعقلُون الآية (٢٤) – الروم﴾.

والماء مُذيب مثالى للمواد التى يُراد تسهيل دخولها للمخلوق الحى، وللمواد التى يُراد خروجها من الكائن الحى. فالماء حامل رقيق للوازم الحياة، وحيثما وُجد الماء وُجد الأمل فى وجود حياة مادية.

والإنسان بجهله - وبما يدعيه من علم ناقص - يلوث المجارى المائية والبحار التى تمده بالرزق والخيرات.

وأصبحت معظم البحيرات والأنهار فى الدول الصناعية شبه خالية من الحياة، وتعامل البشر مع مياهها يسبب لهم المرض، فقد فقدت الأنهار عذوبتها، وأصبحت عمليات تنقية مياه الشرب باهظة التكلفة، ومياه الترع غير صالحة ولا للرى[٨].

وأصبح العلم يُسخر فى الإفساد بدلا من الإصلاح. والسبب فى ذلك هو فقدان الإيمان، والتردى فى موارد التهلكة. هاهو الإنسان العاقل يفسد أهم مقومات حياته!!

obeikandl.com

# عالم النبات

النباتات معروفة فى دنيانا، وقد اختارها ربنا (تعالى) بألوانها المتعددة فزين بها الأرض قبل قدومنا إليها، وأثناء حياتنا فيها. والنباتات تنبت فى طين الأرض وفى المياه، ومنها الفطريات والطحالب والنجم والشجر والعشب، وهى بتنوعات تتجاوز المليون صنف، كلها بلا عقل ولا هوى، ولكنها مُسخرة وفيها فطرة حاكمة ولها أحاسيسها الناعمة، وهى طيبة مُسبحة، ومتوجهة دوما نحو السماء، ويسرها مايرضى ربها (تعالى) ويحزنها مالايرضاه، أى أن هواها مطابق لما يرضى ربها – تبارك وتعالى – ولذلك فهى لاتعانى العلل النفسية والتمزقات المعنوية والاغتراب والتعارضات التى يعانيها الفسقة من البشر.

فى كل ساعة تطرح النباتات ملايين الأمثلة على نشأة الحياة وتجددها بعد الموت، وتلك رسائل غاية فى الوضوح، فمن يفهم؟

النبات هو المثل الحى أو البالغ الوضوح فى كيفية إحياء الله للأرض بعد موتها، أى خروج المشهود من المغيب.

والاشجار تُعمّر أضعاف عمر الإنسان. والأشجار تعتبر أضخم الأحياء من حيث الارتفاع نحو السماء.

وضرب الله(تعالى) بالنبات (الشجرة) المثل للكلمة الطيبة المعمرة التى [تؤتى أكلها كل حين بأمر ربها]، وأيضا ضرب المثل للكلمة الخبيثة التى ليس لها قرار، واشتق منها ما يشجر بين الناس، كما بين بالشجرة كيفية تنوع الأشياء، كشجرة النار – مثلا – وما يتفرع منها.

ونرى فى النبات كيف يتشكل الجمال من عمق الطين والوحل. وأيضا كيف يزول الجمال سريعا وكأنه لم يكن ﴿.... وترى الأرض هامدة فإذآ أنزلنا عليها الماء اهتزّت وربتْ وَأنبتت مِن كُلّ زوج بهيج الآية (٥) - الحج﴾. فما أروع نضارة الخضرة، وسبحان من أبدع جمال الزهرة وركب لنا دقة بنيان الثمرة.
والنباتات كما هى زينة فى الحياة الدنيا هى أيضا زينة فى رياض جنة الخلد، مع اختلاف النوع بما يناسب سعادة الجنة.

والنباتات ضرورية ومسخرة لإنتاج المكونات الحيوية الأساسية، وعليها يتغذى الحيوان والإنسان، فالنباتات هى الكائنات التى تتولى تحويل المواد الطينية ومختلف الجمادات الميتة إلى مواد بها أنواع من الحياة المبهجة. ومن غير الله (تعالى) يُخرج من الطين الحبوب والثمار والأزهار والجمال؟

فمن الطين تبدأ الحياة التى نعرفها، وبدون النباتات يتعذر على بقية الأحياء أن تواصل حياتها المألوفة. والنبات مخلوق يؤدى وظائفه فى الحياة الدنيا مسخرا بالفطرة التى فطره الله عليها، وهو بلا هوى (شارد) ولا مطامع (فانية) وبلا أحقاد، ولايعادى ولايحب المعتدين.

وعالم النبات عالم مشهود ولا يحتاج لمزيد من التعريف – هنا – لأن ذلك يخرج عن نطاق هذا الكتاب.

لكن هنا نشير إلى أن النبات كائن حى يحس وينفعل وله لغة، ويستجيب للمتغيرات كالحرارة والأصوات والرياح والمياه والغازات، ويتبادل الأخذ والعطاء والتواصل السلمى مع المحيط من حوله بسهولة وتسامح فطرى.

# إحساس النبات

الإحساس الفطرى فى النبات يتجلى فى توجه الجذور نحو مصدر المياه فى التربة. وحتى الآن لانعرف تحديدا إلا القليل ممايحدث بين النباتات وبعضها، وبينها وبين التربة والشمس والقمر والأشعة الكونية. نحن نعرف عملية التمثيل الضوئى مع جهل حقيقة آليتها العجيبة، ونعرف تفتح الأزهار ونضج الثمار نتيجة للتفاعل مع المجهول ومع حرارة الشمس وضوء القمر.

ولانعرف –حتى الآن – كيف يقوم النبات بتحليل الماء إلى أكسجين يطلقه لنا، وهيدروجين يُدخله مع الكربون – المفكك من ثانى أكسيد

الكربون – ليُنتج به غذاءنا؟! ماهى الآلية الخفية؟ ربما يهتدى الباحثون إليها فى يوم ما، وعندئذ تتسع بوابة الرزق بإذن ربها (تعالى). ونجد بعض الساتات التى تصطاد الحشرات – التى انتهى اجلها – بأساليب عجيبة ولأهداف مرسومة بمنتهى الدقة والإعجاز، مثل نبات "الدايونيا" فله أوراق متحورة لها فلقتان على حافة كل منها أشواك (حاجزة)، فما أن تقف حشرة على الورقة حتى تحس الورقة فتنطبق عليها وقد صادت صيدا تتغذى به لتتقوى على تأدية الوظائف المسخرة لتاديتها. ومن النباتات ماهو شديد الحساسية للمس، مثل نبات "الست المستحية"، فما أن يلمس أحد أوراقها حتى يغمى عليها (تأثرا) فتتدلى وتذبل فجأة لبعض الوقت.

ومن النباتات ما يُظهر الألفة الشديدة مع ماحوله، مثل النباتات المتسلقة ذات المعاليق فما أن يحس بوجود جسم بجواره حتى يلف المعلاق حوله ويتشبث به بلطف؛ ليتمكن من تأدية وظيفته.

هكذا يتفانى النبات فى القيام بدوره ويسجد مسبحا بحمد ربه، ولكن لانفقه تسبيح النباتات، وعجزنا هذا لايجيز لنا أن ننكر هذا التسبيح.

﴿والنجم والشجر يسجدان﴾، والنجم هو النبات الذى ينمو ملامسا للارض، بدون ساق، كنباتات الخيار والقرع والبطيخ، وسجوده واضح،

أما الشجر فهو النبات الذى له ساق كنبات الرمان والتفاح، ولا نعرف كيفية سجود هذا النوع من النباتات، لكن سجوده حق.

ويكفى أن نتأمل الأداء العجيب لبعض النباتات التى تمكر لتصيد الحشرات لكى تتغذى عليها لتتقوى فتحسن تأدية وظيفتها فى هذه الدنيا. وهناك النبات الشهير الذى يتتبع دوران الشمس – فيدور معها عجبا – يلتمس منها الضوء ليؤدى وظيفته على أكمل وجه، ويعلمنا – بمثال توضيحى – كيف تتسلل اللامادة (طاقة الفوتونات الغير منظورة) عبر محيط الأفلاك لتدخل فى المادة المنظورة، فينمو الزرع وتتصور الأرزاق المادية.

فعملية التمثيل الضوئى التى تحدث بتفاعل بعض مكونات الضوء (الخفية) مع المادة المتجسدة لتكون غذاء الحيوانات وأكسجين التنفس، وتخلص الجو من تراكم ثانى أكسيد الكربون؛ من أجل سلامة عالم الحيوان.

وهكذا فعالم اللامادة (الضوء) والأشعة الكونية يتعاون بانسجام مع عالم المادة لتأدية الوظائف التى لانعرف من أسرارها إلا القليل !!

كل هذا النشاط النباتى لايحدث لغرض نفسى أو شخصى كما هو الحال فى الإنسان، إنما يحدث لتأدية وظيفة التسخير التى يريدها رب العالمين – تبارك وتعالى.

# المخلوقات الطينية

عالم النبات يمثل البساطة العارية بلا عورة! وفيه يتم التزاوج الذى يخرج الرزق المقدر بالجملة! وقد رأينا قبلا كيف تنشأ الحياة النباتية من الطين مع جهلنا بمعظم أسرارها. هذا المخلوق البسيط يتعامل أخذا وعطاء -بسماحة - مع الجمادات الصلبة والسائلة والغازية.

وفى النبات نرى كيف يتم الاستنساخ بغرس عقلة من نبات فى الطين فينتج بذلك نبات جديد مماثل تماما لجنس النبات الأب (أو الأم)، مما يذكرنا بآيةخلق حواء من أبيها آدم (الأعزب) - عليهما سلام الله.

ويذكرنا النبات بآية خلق المسيح من مريم (العذراء) ، سلام الله عليهما، مما يدل على أن قضية الأنساب هى من ظاهر الأسباب - كما ذكرنا قبلا - والسر الأعظم مكنون فى علم رب الأرباب - تبارك وتعالى.

فى نفس التربة (الطين) يمكن أن نجد نبات العنب ينمو بجوار نبات الفلفل بجوار الصبار والكل ﴿يُسقى بماء واحد﴾. وحين يخبرنا ربنا أنه تعالى خلقنا ﴿من سلالة من طين﴾ فلا عجب؛ لأننا نرى الخلق المتنوع يتجدد من الطين يوميا، ونحن نأكل ونتغذى من نبت هذا الطين، وأجسادنا من نفس مواده، مما يؤكد أصلنا الطينى، الذى اوضحته لنا رسالات الهدى.

وفى النبات تُسجل الأحداث والظواهر المحيطة به كتغير الليل والنهار والشهور القمرية وفصول السنة والدورات (النشاطات) الشمسية والكوارث الطبيعية، والتلوث البيئى، ومواسم الجفاف والأمطار....إلخ. وهكذا الحكمة واضحة، والأخبار يشد بعضها بعضا، عند من يتدبر بفطرة سليمة. ولذلك نجد سهولة الإيمان والشعور بالنعمة لدى أهل الريف والبادية، الذين عايشوا النباتات، ويرون الموت والحياة صباح مساء.

ونجد أن عتاولة الكفر والإلحاد قد نشأوا وعاشوا فى الحضر حيث يقل النبات بما يحمله من آيات بينات، وحيث تكثر البنايات والجمادات الصماء المعمرة، وتزدهر صناعة الأصنام، وتتوه العقول فى الأسواق، وملاعب الشياطين.

# الرزق النباتى

عالم النبات أعده الخلاق البديع كسبب ظاهرى أو بوابة لتنوعات الرزق المادى والنعم والخيرات وأسباب الشفاء والموت، كالنباتات الطبية والنباتات السامة.

من هذه البوابة يبرز الرزق النباتى المتعدد الأنواع من عالم الغيب إلى عالم الشهادة. من النبات يتغذى الإنسان والحيوان وسبحان الذى أخرج المرعى ... نعم الإنسان يحرث ويبذر ويروى ظاهريا، لكن الذى يزرع حقا هو الخلاق العليم الذى يهب الأرزاق، [أفرأيتم ماتحرثون أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون]، ولذلك يتوجه نمو النبات نحو

السماء. من النبات ينتج الطعام وأكسجين التنفس معطرا بالريح الطيبة مخبرا بطيب المنبع الأصلى وهو قدرة الله.

وحول النبات يمتد الظل ويتم ترطيب الجو، ويتزين المحيط بآيات الجمال.

النبات يمتص مخلفات الأحياء ويصنع منها الغذاء، ويتكاثر [كحبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مئة حبة]، [والله يضاعف لمن يشاء]، فنرى نواة البلح ينبت منها نخلة تنتج مئات الألاف من حبات التمر، وكذلك شجرة العنب وغيرها، ولذلك فيُضرب بالنبات المثل فى إبراز الكرم الإلهى فى الدنيا وفى الآخرة.

كل ذلك يحدث بلا صخب ولا ضوضاء، بل إن النبات يهدئ من شدة الرياح ويُسقط بعض مافيها من أتربة، ويمتص الضوضاء فى صمت يريح الاعصاب المتعبة.

هذا المُنتِج البديع مزروع (ثـ بت) لا يهرول ولا يجرى ولا يمشى، بل ساكن خاشع يشعر برزقه يساق إليه، فيأكل من تحت أرجله، وأوراقه وأزهاره تنظر إلى السماء والملأ الأعلى، حيث مصدر النور والخير، ولذلك فليس لديه شكٌ فى وجود الله – تبارك وتعالى – بل ربما أنه يتعجب من شك وكفر البشر الذين يفترض فيهم العقل!

# عالم البشر

عالم البشر هم مجموع بنى آدم، ذكورا وإناثا، فى كل عصر ومصر، منذ خلق أبينا آدم (عليه السلام) إلى قيام الساعة. والبشر يفترض أنهم القمة القيادية لعالم الحيوان – بفضل الخلاق العليم – الذى سخر لنا الكثير من العوالم.

وحرى بنا أن نعرف أنفسنا ونعرف كيف نتواصل ونتعامل بمودة وحكمة مع العوالم المتعددة من حولنا؛ كى لا نشعر بالاغتراب الأليم ، الذى يعانية من أعرضوا عن هدى ربهم وهم لا يشعرون، وأصبحوا يتوجسون من كل شىء، ويخافون من الغير ومن المجهول ومن الغد ومن المستقبل.

وحسن التعامل يستلزم حسن الفهم، فهم أنفسنا أولا وقبل كل شىء. ومن أصعب الصعب أن نتكلم عن أنفسنا التى لا نعرف حقيقتها ولم نشهد خلقها، لكن الخلاق العليم تفضل ففصل لنا ما يكفى بخصوص قصة النفس البشرية وغايتها العاقلة، وأخبرنا أنه – جل وعلا – هو الذى أوجدنا ويرعانا، ويبتلينا ويحاسبنا، وسيرينا آياته المادية فى الآفاق

(العالمين). ويرينا الآيات المعنوية فى أنفسنا التى هى عالمنا الخاص؛ لتطمئن قلوبنا إلى حقيقة أنه ﴿تعالى جد ربنا﴾.

ولذلك فإننا، فى هذا الفصل، نحاول التفكر فى حقيقة أنفسنا وموقعها بين العالمين، والعون والهداية من الله (تعالى).

معلوم أنه بسبب المقدرة العقلية المتميزة يعتبر الإنسان أرقى المخلوقات الطينية التى خلقها العليم الحكيم - جل شأنه وتقدست اسماؤه. وقد خُلق الإنسان أساسا لعبادة خالقه وللخلافة فى الأرض وإعمارها، وليبتلى؛ [ليهلك من هلك عن بينة ويحى من حى عن بينة]. وقد فصلنا ذلك فى كتاب العقل(٧)، ولا داعى للتكرار هنا.

وكما تبين من الفصول السابقة فمحور هذا الكتاب هو الإنسان ، الذى يقف فى حاضره بين ماضيه، بما فيه، وبين مستقبله الذى يجهله، فهل يعزم على تعويض مافات قبل فوات الأوان!

# الإنسان والحيوان

كما هو معلوم فالتركيب المادى للإنسان أصله الطين، لكن النفخ المقدس - فيه - قد أكسبه الحياة المتميزة عقليا، وهذا هو السر العظيم. وبعد الخلق والنفخ يأتى التعليم النورانى ليرقى بعقل هذا

ومن الناحية العضوية (المادية)، فمن المعلوم – وراثيا – أن ما يجعلنا نأخذ هيئة البشر، لا هيئة الشمبانزى هو إختلاف قدره ١٪ بين طاقمنا الوراثى وبين الطاقم الوراثى لحيوان الشمبانزى(٩).

أى أنه من الناحية العضوية (المادية-الطينية) فالإنسان شمبانزى بنسبة ٩٩٪ ، وهذه الحقيقة العلمية يختلط مدلولها لدى الدارونيين، وقد يعتبرونها تأييدا لما هم فيه من لبس مريب.

لكن حين نتأمل الأمر من الناحية العقلية نجد الفارق الهائل بين الإنسان والشمبانزى، ولذلك فإذا أهمل الإنسان عقله الإيمانى أو ضيعه وغرق فى الغفلة عندئذ يتقلص الفارق بينه وبين الشمبانزى وغيره من الأنعام، بل قد يصبح الفارق لصالح الأنعام ولا عجب فى ذلك؛ لأن الأنعام مسخرة وغير مكلفة.

وأعظم شاهد على ذلك هو قول ربنا، عز وجل:
﴿ ... لَهُم قُلُوبٌ لا يَفقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أعْيُنٌ لا يُبْصِرُونَ بِهَا ولَهُمْ ءَاذانٌ لا يسْمَعُونَ بِها أُولَئِكَ كالأنْعَامِ بَلْ هُم أضَلُّ أُولَئِكَ هُم الغَافِلُون – الآية (١٧٩) – الأعراف﴾.
وبهذه الآية الكريمة نستدل على هبوط الفسقة والمجرمين والظالمين إلى ما دون مستوى الأنعام، وهم لا يشعرون بذلك، لأن الآيات التى

تصفع حواسهم لا يتم تشغيلها إيمانيا فى عقولهم، فهم لا يعقلون بعقولهم بل عطلوها.
وقد ثبت بالرصد العلمى أن كيان الإنسان (الفرد) ليس نتاج تركيبه العضوى أو الوراثى وحده، إنما هو أيضا نتاج التفاعل بين الموروثات (أو الجينات) مع البيئة والعقل.

ومهما كان التركيب الوراثى للأفراد متطابقا، كما فى التوائم البشرية المتطابقة – التى تعتبر نُسخا متماثلة وراثيا – إلا أن كل فرد سيختلف عن الآخر حسب تفاعلاته المادية مع البيئة والمؤثرات، ومعنويا مع القدوة من الآباء والأقارب والمشاهير وغيرهم، وما يكتسب من معارف ومن المعايشات ووسائل التثقيف والتشكيل الفكرى المختلفة.
ويتولد – عن كل ذلك – لكل فرد عقليته (المكتسبة) وبالتالى شخصيته وخبراته وخياراته الخاصة وهويته.

ونستنتج مما سبق أن جوهر الإنسان ليس هو البناء المادى الفانى، ولكنه العقل الذى يحدد مدى قدرة وعظمة الشخصية.

وكل عظماء التاريخ لا نعرف عن بنية أجسامهم ولا صورهم إلا أقل القليل، لكن أبرز ما بقى منهم وما عرفناه عنهم هو نتاج نشاط عقولهم وانعكاساته على جوارحهم وماحولهم، وعلاقة عقولهم بمصائرهم.

عالمنا البشرى المعقد التركيب، هو المُحيِّر فى الفهم، والمميز بين باقى المخلوقات بالجمع بين المادة والوعى والفهم، وبالقدرة على التعلم واستنباط وتصنيف وتجميع العلوم وتطبيقها على أرض الواقع وتكرار التجربة والخطأ، والتفكر والتدبر والتذكر والاختيار واتخاذ القرار تلو القرار أملا فى تحقيق مالايحصى من الأغراض.

بمثل هذه الصفات والقدرات الموهوبة أصبح الإنسان عاقلا ومؤهلا للخلافة فى الأرض.

والإنسان ليس مجرد مادة أو ماكينة، لكنه مستودع واع لقوى روحية، كالحق والخير والجمال وغيرها، وما إن تنطلق هذه المواهب الخلاقة حتى نرىٰ عجبا.

ومع بداية الوعى يبدأ العاقل فى التساؤل: من أنا؟ ماهى قصتى؟

من أين وإلى أين؟

ماهو دورى فى تلك القصة التى أسمع عنها؟

والمجنون لا يُكلف ولا يحاسب.

مثل هذه الأسئلة المحيرة يتعذر الإجابة عليها بالعقل فى حالة اعتماده على الحواس ووسائل الاستشعار المادية فقط؛ لأن بداية خلقنا سبقت بداية وعينا، ﴿مَآ أشهدتُّهُم خلقَ السَّمَاواتِ وَالأرض ولا خَلق أَنفُسِهِم .... الآية (٥١) - الكهف﴾.

ومن يغب عن دنيانا بالموت لايعود فيخبرنا بما بعد الموت. فما قبل البداية غيب ومابعد النهاية غيب.

# آدم وذريته

كما ذكرنا فى كتاب العقل، البشر هم آدم وذريته ، ولكن يوجد لآدم – عليه سلام الله – وضع خاص بين البشر ، إذ أنه الأب ، وله فوق ذلك خصوصيات وشرف يعرف شيئا منها كل من لديه حد أدنى من الثقافة الإسلامية، ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإنسَان مِن سُلالَةٍ مِّن طِين (١١) ثُمَّ جعلْنَاهُ نُطْفة فِى قرارٍ مَّكِينِ (١٢) – المؤمنون﴾.

والإنسان هو ابن آدم – ذكرا كان أو أنثى – الذى نتج متأخرا فى سلسلة الخلق (البشرى) التى يشير إليها النص القرآنى السابق ، ولذلك فقد لا ينطبق وصف الإنسان (العادى) على آدم عليه السلام. ومن يتأمل النصوص النورانية ربما يجد أن خلق آدم جاء فى بداية السلسلة بكيفية أعلى شرفا من كيفية خلق الإنسان المعتاد ، ويذكر الإمام ابن كثير – فى البداية والنهاية[1] – أربع تشريفات خاصة بآدم : إذ خلقه الله بيده الكريمة ، ونفخ فيه من روحه ، وأمر الملائكة بالسجود له ، وعلمه أسماء الأشياء. ولم ينل الإنسان – الذى خُلق ﴿مِن سُلالة مّن مَّآء مَّهين – (٨) – السجدة﴾ ، و ﴿فِى قَرارٍ مَّكِين ﴾ – لم ينل هذا النوع من التشريف.

وقد كان هناك نوع من الخطاب خاص بآدم ، ويكفى آدم شرف التعامل (الاتصال) شبه المباشر مع الله – تبارك وتعالى علوا كبيرا –

لذلك فلا ينطبق على آدم مفهوم الإيمان – بالصيغة المعروضة على ذريته من بعده – رغم أبوته لكل المؤمنين ؛ وذلك لأن الإيمان يكون بكل أخبار الغيب ، لكن آدم كان عبدا فائق العلم بالنسبة للبشر – بتعليم الله له مباشرة – وكان مشاهدا للملائكة ومتمتعا بنعيم الجنة، ويحس بالتعامل الأشد وضوحا مع الله – تبارك وتعالى – ولأن الكفر لم يكن واردا ولا متصوراً فى تلك الحالة ، وبالتالى فطبيعة الإيمان عنده كانت تختلف عن طبيعة إيماننا.

# الإنسان

الماديون والعلمانيون، ومن على شاكلتهم، يختصرون الإنسان – فى تصوراتهم – إلى مجموعة من العمليات البيولوجية التى تؤديها مجموعة متشابكة من النظم الحيوية، التى تجمعت ،"بالصدفة البحتة!"، بلا ترتيب ولاقاعدة ولا غاية ولا حكمة!

يقولون بأفواههم أن جميع الأحياء – بما فيها الإنسان – بدأت نشأتها من الجمادالميت الأصم!! منذ أزمان بعيدة، وتطورت من نفسها بلا غاية! بل بتخبطات الصُدف العمياء! يمينا، شمالا، فوق، تحت ..، أبيض، أحمر، أزرق .. طويل، قصير ... "أهبل"، مجنون، زاحف، غاطس، صارخ، أبكم ، رقى، تدنى، شد، جذب ، فى الظلمات....!!!!

سبحان الله، حتى الفهم حُرمود، فمصطلحات ذلك المناخ التصورى الضال تفتقد المعنى تلقائيا؛ ففى حالة عدم وجود عقل يقود عملية [التطور]، فما معنى لفظ [فوق]. وكيف يوجد معنى الارتقاء؟
إن كان الأمر صُدف، بلا هدف ، ولا غاية، فما معنى الارتقاء؟! إن الارتقاء لابد وأن يكون نحو غاية. ففى السلوك المسمى "بالعشوائى"، لامعنى للتقدم أو التأخر؟ إن الأمر ليستلزم أن وجود معالم ومعايير، وإلا فماذا يثبت أن الإنسان أرقى من الثعبان؟

المعالم والمعايير ضرورية للإدراك ﴿لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر﴾. تلك المادة التى ينكرون مصدرها ويقولون أنها "تتهابل 'بعشوائية، ينقصها الوعى والإدراك لكى تعرف ذاتها، كما ينقصها الإرادة تتطور.

درجات الوعى والإدراك هى من النعم التى ميز الله (تعالى) بها بين الخلائق، وكان للإنسان النصيب الأكبر منها، ولله الفضل والمنة. أما المادة الصماء (الجمادات) ومكوناتها - فكما أوضحنا قبلا - تحكمها قوى وقوانين وسنن تسخيرية لايمكن أن تحيد عنها فضلا عن أنها لا تعى ولا تدرك - بالمفهوم الذى نعرفه - ولا تتصرف بذاتها. ولا تحدد لنفسها غايات وفلسفات وآفاق.

وفى الفكر الإسلامى، نفس الانسان هى كيان معنوى مختار ومُخير ليستخدم أدوات مادية - مسخرة - فى غاية القرب منه وهى جوارحه

وما يتعلق بها، كما يستخدم أدوات مادية أخرى مسخرة له وبعيدة عنه نسبيا وهى مفردات البيئة التى يعيش عليها، ومنها الماء والهواء والأحياء والشمس والقمر .... إلخ.

# النفس البشرية

النفس البشرية لم تزل ذلك العالم المجهول. والإنسان لم يزل مفرزة الغرور، تتورم لديه الأنا فتتضخم فيركبه الغرور ويقوده للتهلكة، ﴿يَاأَيُّهَا الإنسَانُ مَاغَرَّكَ بِرَبِكَ الكَرِيمِ (٦) الَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ (٧) فِى أَىِّ صُورَةٍ مَّاشَاءَ رَكَّبَكَ – (٨) الانفطار﴾. الإنسان لم يزل يتهور ويندفع ولا يشعر بمدى عظم الأمانة، ﴿.... وَحَمَلَهَا الإنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً (٧٢) – الأحزاب﴾.

هذا الظلوم الجهول ينسى حقيقة نفسه وينسى مم خلق ﴿فَلْيَنظُرِ الإنسَانُ مِمَّ خُلِقَ (٥) – الطارق﴾، وماالذى يحفظه مما يحيط به من المخاطر وأسباب الهلاك.

الإنسان ليس مجرد جسد مادى، وإلا استوى مع الجثة، أو تردى فى ﴿أَسفَلَ سَافِلِينَ﴾ ! بل الإنسان مخلوق مميز بتركيب محكم كما شاء الخلاق العليم، لاكما يشاء المخلوق.

وفى الإنسان تتشابك المكونات فى تداخلات يمكن تمييزها وتخصيص بعضها بالدراسة والتفكر، وهى الجسد (المادى) بأجهزته، والعقل (اللامادى)، والروح التى تحيا بها النفس ولاتدركها أى حواس.

هذه الأشياء العجيبة تتعامل مع بعضها، ولاندرى عن تعاملاتها وأسرارها إلا أقل القليل. وسبق فى كتاب العقل[٧] أن عرّفنا العقل على أنه نظام معلوماتى يتحكم جزئيا فى بعض جوارح ونظم الجسد المادى. أما الروح فهى من أمر الله - جل وعلا - ﴿قُل الرُوح من أمر ربِى﴾، ولذلك فهى تأبى الخضوع للتجارب المعملية، ولا تدركها وسائل الاستشعار.

أما النفس فقد أنعم الله علينا ببعض المعلومات عنها، وذلك القدر يكفى لمن يعقل. وفى ذلك يقول الخلاق العليم: ﴿وَإذ أخذ ربُك من بنِى ءادم مِن ظُهُورهِم ذُريّتهُم وَأشهدَهُم عَلَى أنفُسِهِم ألستُ بربّكُم قالُوا بلى شهدنا ... الآية (١٧٢) - الأعراف﴾، فالأنفس البشرية - جميعها - لها تاريخ عريق منذ ساعة الميثاق القديم الذى أخذه الله علينا وأشهدنا أنه (تعالى) ربنا ونحن عباده.

﴿اللهُ يتوفّى الأنفُس حِين موتِهَا وَالّتى لم تَمُت فِى مَنامِهَا فيُمسِك الّتِى قضى عَلَيها الموتَ وَيُرسِلُ الأُخرَى إلَى أجَلٍ مُسَمّى إنّ فى ذَلِك لأيات لِقوم يتفكرُون (٤٢) - الزمر﴾. تلك هى النفس ترتبط بحيز ما ولكن لاتشغله لأنها ليست مادة (ثقيلة) رغم أنها خلقٌ من خلق الله، لكنها تتميز ولاتتحيز، ولها اتصال مؤقت بالجسد المميز المتحيز، تغادره عند الموت أو النوم، وتُعاد إليه عند البعث أو الاستيقاظ. فهى ليست خاضعة ولا مملوكة لصاحبها إنما هى ملك خالقها وأمته. أما الجسد فهو وسيلة مادية لازمة للتعامل الحسى مع المحيطات المادية.

وكما يحتاج الجسد لرزق ربه، الذى بدونه يهلك، فتحتاج النفس البشرية لهداية ربها - جلا وعلا - وإلا ضلت وهلكت.

# التوافق الإنسانى

الإنسان مركب من العديد من الأشياء التى تكون مجموع الكيان البشرى المفرد. المكونات المادية للفرد البشرى ملموسة وشبه معروفة بالكثير من تفاصيلها المتمثلة فى مكونات أجهزته وجوارحه المختلفة. هذه المكونات المادية تتعامل بالفطرة مع الروح والمكونات المعنوية المتمثلة فى العقل والعواطف وما شابهها. وهذا المجموع المتكامل هو الكيان البشرى المفرد الذى يتعامل مع محيطه. والإنسان هو النموذج الحى الذى يجمع فى داخله (تركيبه) مزيج من عالمى الغيب والشهادة فى نفس الوقت.

المكونات (التجهيزات) المادية للكيان البشرى سريعة التغير وطارئة وزائلة، وليست بدرجة أصالة الشق المعنوى. ففى أقل من دقيقة يموت من الجسد البشرى عشرات الملايين من الخلايا وتستجد عشرات الملايين الأخرى، فماذا يحدث فى يوم أو فى سنة أو على طول العمر فى هذه الدنيا؟!! تغيرات مادية متواصلة لتناسب الأدوار فى مراحل العمر المختلفة!

والعقل هو الآخر يبدأ صغيرا، ثم يكبر شيئا فشيئا، ثم يشيخ وقد ﴿يُرد إلى أرذل العمر لكى لايعلم من بعد علم شيئا﴾. الجوارح بفطرتها

المهدية تميل دوما إلى مايرضى خالقها - تبارك وتعالى - وتتأذى مما يغضبه، لكنها مسخرة لخدمة صاحبها، فيوظفها فى الخير أو فى الشر، بما يوافق (أو يرضى)عقله أو عو طفه أو هواه أو الجميع معا.

والعقل فى رقيه وتصوراته للحياة يحتاج حتما لهدى خالقه، وبدون هذا الهدى يضل مجمل الإنسان. وهنا مكمن ومنشأ السعادة أوالشقاء؛ فمن يسعى فى الحياة متبعا - بعقله - منهج خالقه فإنه يعيش حياته فى قمة التوافق الممتع مع جوارحه، التى تكون له نعم الصاحب، فيتنعم بأقصى درجات الراحة النفسية ﴿فلا يضل ولا يشقى﴾ ، ويتوجه الكل البشرى نحو رحاب النور الإلهى، ويُبشر بالنعيم الأبدى الذى ينتظره فى دار الخلود.

أما من يُعرض عن ذكر ربه ويتبع خطوات الشيطان ﴿فإن له معيشة ضنكا، ويحشر يوم القيامة أعمى﴾. هذا الصنف من البشر يتحرك - فى دنياه -وجوارحه ساخطة عليه، ولولا أنها مُسخرة ما أطاعته فى خطواته الآثمة، وهذا هو حال الشخص الممزق نفسيا، والذى يغلى الصراع الخفى فى داخله، بينه وبين جوارحه .

ولا حساب على هذه الجوارح ولكنها ستبعث ليوم النشور لتكون شاهدة على ظلم صاحبها، ولتكون هى نفسها وسائل لتعذيبه والانتقام منه، ﴿يوْم تشْهدُ عليْهمْ ألسنتُهُمْ وأيْديهم وأرجُلُهُم بما كانُوا يعمَلُون - (٢٤) النور﴾، ﴿.... كُلّما نضجتْ جُلُودُهُم بدّلناهُم جُلُودا غيرها لِيذُوقُوا العذاب ..... الآية (٥٦) النساء﴾.

الإنسان (المفرد) فى حد ذاته هو عالَم فريد بين الخلائق، ويحمل معه مايقرب من ٢٠٠ مليار من الكائنات المادية الدقيقة التى تصاحبه حيث ذهب تشهد عليه، وتفترسه فى مرضه، وتأكل جسده بعد موته.

# دور الإنسان فى الحياة

ربنا (تعالى) أوجز لنا دورنا فى الحياة الدنيا صريحا، فقال – عز من قائل: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الجِنَ وَالإنسَ إلا لِيَعْبُدُونِ (٥٦) – الذاريات﴾. وهذا تلخيص وإرشاد بالغ الصراحة والوضوح، لكن الضلال البشرى يبدأ من الجهل بالدور المطلوب تأديته، حين يعرض الإنسان عن ذكر ربه. فمن لايعرف دوره لايجوز أن يحسب له النجاح فيه، حتى ولو حدث على يديه شىء من النجاح الظاهرى.

دور الإنسان (الرئيسى) – فى الحياة الدنيا – هو عبادة رب الأرض والسماوات، عبادة تليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه، وذلك من خلال حسن الخلافة (عن الله تعالى) فى الأرض، كما أخبر الله الملائكة بهذا الأمر قائلا:

﴿.... إنَى جاعِلٌ فِى الأرْضِ خَلِيفَةً .... الآية (٣٠) – البقرة﴾، والقصة معروفة لأصحاب الدين الصحيح.

وفى ضوء هذا التوجيه تتحدد معالم ومعايير النجاح الحقيقى والفوز المبين.

وإن لم نهتم بترقية البشر، في درجات الإنسانية ووفق نور التوجيه الإلهي، فلا تقدم ولا أمن ولا أمان ولاسعادة حقيقية ولا فوز، هذا برغم ما يعد تطورا تكنولوجيا يبهر البسطاء فيحسبونه تقدما! وماهو بتقدم(٧).

هذا الدور العبادى لا يجب أن يفارق بؤرة الشعور الإنسانى فلا ينسى قول الهادى العليم: ﴿قُل إن صَلاتى وَنُسكِى وَمَحيَاى ومَمَاتى لله رب العَالمين﴾، وذلك قمة الإيجاز تتوجيه كل حركات وسكنات الإنسان، لتكون لله رب العالمين.

# عالم الطير

عالم الطير مثال رائع لعالم الحرية وبساطة العيش؛ فالطيور من المخلوقات شبه العلوية، التى يسر الخلاق لها أن تمشى على الأرض وتسبح فوق الماء وتحلق فى الهواء، بلا محركات آلية ولا مُلوثات غازية ولا ضوضاء، ولا تحتاج لمطارات ولا أجهزة ملاحية، ولا إثبات شخصية أو هوية. وأرواح الطيور مخلوقات شبه سماوية بسبب طول فترات تحليقها فى جو السماء.

وهذا التحليق الحر يجعلها أوسع أفقا – برغم محدودية عقلها الفطرى وتواضع طموحاتها المادية – ومع ذلك فهى بالتسخير محكومة الأنا، لايغرها قدرتها على الطيران. وتتمتع الطيور بالقناعة وتتعزز بالاستغناء بربها (تعالى) عن الخلائق. فالطيور لاتتعلق بالدنيا – مثلنا – إنما تأخذ منها حد الكفاية، ولذلك فهى لاتغالى فى زخرفة أعشاشها، بل تكتفى بما يحقق الغرض – أى حد البلاغ – وهى لاتعرف العقد النفسية التى يعانيها أهل الغرور من البشر.

والطيور تتحمل التقلبات الجوية متفوقة على الإنسان فى كل ذلك، وهى من المخلوقات التى تتجلى فيها روعة بساطة الحياة.

والدراسة الميكانيكية والإيروديناميكية لجناح وريش الطائر - من حيث التركيب والمتانة النوعية وإمكانيات التحكم - تُظهر عجبا، يتحدى كل التقنيات البشرية إلى أن تقوم الساعة - وسُبحان الذى خلق.

أعداد الطيور فى دنيانا تقدر بمائة مليار طائر، أى أضعاف أعداد البشر، ورزقها جميعا على الله العزيز القدير الذى [لاتأخذه سنة ولانوم]. وهذه البلايين من الطيور لها تنظيمات فطرية عجيبة فى رحلاتها، وضبط صفوفها وتوجهاتها، ومنطقها، ورقى تعاملاتها مع بعضها البعض ومع الغير. وحتى الآن لم نتأكد من معرف الوسائل الملاحية التى تستخدمها الطيور فى رحلاتها العجيبة.

والطيور فوق أنها نعمة غذائية للبشر ولبعض الحيوانات فهى وصلة هامة فى توازن الدورات الحيوية فى دنيانا. وحين طغى الصينيون - بجهالة - على العصافير فأبادوها انتشرت لديهم أنواع من الآفات الزراعية لم تكن معهودة من قبل، فأهلكت أضعاف ماكانت تأكله العصافير.

# عشق الحرية

برغم تسخير الطيور لصالح الإنسان، فإنها تنعم بقدر وفير من الحرية التى يحلم بها البشر. وانفتاح الطير على العالمين قد يفوق أفاق الفهم لدى الكثير من البشر. ومن يتأمل حركات الطيور ﴿صافات ويقبضن﴾ يشعر بروعة ميكانيكا النظام الكامل الانفتاح، ويفهم جدوى "قبض

الريح" التى تعنى قمة اليأس فى أفق الفهم البشرى! كما يشعر بالإعجاز الفنى فى الاستفادة المجانية بقوى الرياح فى الجو المفتوح ﴿صافات﴾! ذلك من أهم بواعث الحرية ودعائم الراحة النفسية لدى الطيور.

ولا يوجد لدى الطيور هذا اللغط ولا الجدال الذى يتخبط فيه الإنسان، وهو يدور فى فلسفات ولبس التخيير والتسيير. فحكمة التسخير بالنسبة للطير واضحة وصريحة ومحسومة ومريحة، و ﴿أرض الله واسعة﴾، والتوكل على الله (تعالى) أمر عظيم.

والطير من الجند المسخرات ﴿فِي جَوِ السَّمَاءِ﴾ ولاتعترف بالحدود الجغرافية، التى اصطنعها الإنسان - المتجبر - فى أرض الله، ولذلك فالطيور أكثر تحررا من عوام البشر. ولايستبعد أنها تتعجب من الضلالات والانحرافات فى دنيا البشر، وما يسببه الإنسان للبيئة من تلويث وإفساد، وتعقيدات، وهو مؤتمن على ما فيها من أحياء!

والطيور أمم كباقى المخلوقات كما أخبرنا الخلاق العليم - جل وعلا، ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأرضِ وَلا طَائِرٍ تَطِيرُ بِجَنَاحَيهِ إلا أُممٌ أمثَالَكُم .... الآية (٣٨) - الأنعام﴾. وتتعايش الطيور وتتحرك فى جماعات لا نعرف أسرارها.

الطيور لايلزمها الملبس ولاتقلق كثيرا على رزق الغد، بل تكتفى برزق اليوم، هذا رغم أنها تتعرض مرارا لظروف مجدبة وصعبة، فتهاجر وهى

تعلم وتثق أن ﴿أرض الله واسِعة﴾ والرزق مُقدر كالموت. وحال الطيور في الرزق هي كما وصفها الحديث الشريف: "تغدو خماصا وتعود بطانا". فالحركة من أسباب الرزق، والرازق الكريم هو الذي خلق ولا ينسى.

# منطق الطير

الطير يتصرف فطريا بسلوكيات لو وضعت في ميزان العقل لرجحت كفتها على كفة الكثيرين من البشر، والفضل يرجع أولا وأخيرا للخلاق العليم تبارك وتعالى. وكم نرى من البشر من يتصرف بلا عقل ولا منطق، ويحسبون أنهم يحسنون صنعا!

والطير (كالغراب مثلا) بعثه الله ليُعلم ابن آدم ﴿... كَيْفَ يُوَارِي سَوْأَةَ أَخِيهِ .... الآية (٣١) - المائدة﴾، بعد أن دفعه عبر الحد الفاصل بين الحياة والموت. وذلك يدل على قِدم الطيور وخبرتها من قبل هبوط الإنسان إلى الأرض بوقت طويل.

الطير له اشاراته ومنطقه الذي يتخاطب به، كما ورد في الذكر الحكيم، لكننا لانعرف هذا المنطق. والمنطق في فهمنا يشمل الجمل التعبيرية كما يشمل حسن الترتيب السببي (أو العقلي)، مما يعني وجود نوع من العقل لدى الطير.

وعلى سبيل المثال، فالهدهد - بما علِم، وبما يتمتع به من عمق إيماني - يخاطب الملك سليمان (عليه السلام) بشجاعة إيمانية، لم تظهر من جِن سليمان (عليه السلام)، وبمنطق سليم وحجة بالغة وموعظة بليغة، فيطرح الهدهد قضية العبودية مبينا مدى تقصير الناس في حق أنفسهم وجنب الله (تعالى)، ويرد الهدهد على الملك الذي يتوعده بالذبح فيقول له بثقة: ﴿.... أَحَطتُ بِمَا لَم تُحِط به وجِئتُكَ مِن سَبأ بِنَبَأ يَقِينٍ (٢٢) إِنّي وَجَدتُ إِمرَأَة تَملِكُهُم وَأُوتِيَت مِن كُلِ شَيءٍ ولها عَرشٌ عَظِيمٌ (٢٣) - النمل﴾.

هذا المخلوق الدقيق القوى الإيمان، المنزه عن الغرض والهوى، لايعرف الكذب ولايحتاج إليه. الهدهد يذكر سليمان (عليه السلام) بأنه لايعرف كل شيء؛ فهناك مايخفى عنه، وأن المُلك الدنيوى ليس دليل كرامة، فهاهي امرأة كافرة ﴿أُوتِيَت مِن كُل شَيءٍ وَلَهَا عرشٌ عَظِيمٌ﴾: فتقييم الناس لايكون بملكهم ولا بزينتهم، لأن كل ذلك زائل؛ لأنه غير أصيل.

ويواصل الهدهد تقييمه الإيماني للأمور فينكر على "بلقيس" وقومها السجود للشمس من دون الله(تعالى)، ثم يندد بالشيطان الذي صدهم عن سبيل الله، الذي يخرج الخبء في السماوات والأرض، لا إله إلا هو رب العرش العظيم.

الهدهد كمخلوق شبه سماوى يستشعر وحدة الوجود فى قبضة القوى العزيز، ويشير إلى انفراد الله (تعالى) بخبء (غيب) السّماوات والأرض.

ولأن الهدهد يستطيع أن يستشعر رزقه ووجود الديدان تحت سطح الأرض - ولانعرف كيف ؟ - لذلك فهو يعبر عن امتنانه، وشكره الضمنى، لربه الذى يقدر له مثل هذا الرزق الكامن تحت سطح الأرض.

ومن ذلك يتضح أن بعض الطيور تعد أرقى كثيرا من بعض البشر الذين أغواهم الشيطان فصدهم عن السبيل، وأعرضوا عن ذكر ربهم، فهم لايهتدون.

obeikandl.com

# عالم الأفلاك

عالم الأفلاك (الفضاء) هو الهيكل العملاق للسماء الدنيا، والذى تنتظم فيه معظم العوالم التى تؤثر فينا. هذا العالم يبدو لنا بلا عقل (كالذى نعرفه)، ويموج بطاقات مهولة بلا حدود، ولولا أنه مسخر ومنضبط - بحكمة بالغة- لكان مصدرا للكوارث المدمرة لكل صور الحياة.

والفضاء ليس خاليا كما يسمونه، أو كما قد يُفهم من تسميته، لكنه ملىء بما لانراه وبما لاندركه من العوالم، ولذلك فهذه التسمية (الفضاء) غير دقيقة، وربما يكون من الأدق أن نسميه عالم الأفلاك، نسبة إلى مايسبح ويتقلب فى سبله ومساراته من مفردات تفوق الحصر.

والمقصود بالفضاء - بالنسبة لنا - هو كل ماجاوز حدود كوكب الأرض، فما بعده سنعتبره سماء، وفى ذلك سترٌ مقبول لجهلنا.
وحتى الآن لانعرف تحديدا ماهى السماء، وما المقصود بها؟

برغم قول بعض الفقهاء : "كل ماعلاك فهو سماء"، ولابأس، بهذا التعريف حاليا، وإلى أن يفتح الله علينا بالمزيد من علمه (تعالى).

# السماء

السماء هى صفحة الكون المجسمة، فى عيوننا، والتى تضم العديد من العلامات والتراكيب السابحات ويمكن اعتبار الغلاف الجوى (للأرض) من السماء، أو نعتبره حاجزا مرحليا مرنا بين السماء وجسم الكرة الأرضية، كما يجوز اعتباره بداية السماء الدنيا ؛ نظرا لخفته، والله تعالى أعلم، ونأنس فى ذلك بما نفهمه من قول الخلاق العليم: ﴿أَلَمْ يروْا إلى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِى جَوِّ السَّمَآءِ مَا يُمْسِكهُنَّ إلا اللهُ إنَّ فِى ذلكَ لأيات لِّقوْمٍ يُؤمِنُونَ (٧٩) - النحل﴾. ويتركب هذا الغلاف (الجوى) من عدة طبقات متعارف عليها فى كتب التخصص[٨]. وكل طبقة من طبقات الغلاف الجوى تختلف عن الأخرى؛ لتؤدى وظائف معينة أصبحنا نعرف بعضها وعللها. وهذا الغلاف – شبه الشفاف – هو الذى يكسب كوكب الأرض اللون الأزرق الذى يُرى لنا من الفضاء، وهو الذى يكسب السماء لونها اللبنى، ويكسب ماء البحر زرقته الظاهرة فى عيوننا، ويجعلنا نشعر بوجود الضوء المرئى وأطيافه نتيجة التشتيت والانعكاسات على جزيئات الهواء. وفى هذا الغلاف الهوائى تتكون السحب حاملة الغيث والأمطار، وفيه تنشأ الرياح والعواصف، بأمر ربها تبارك وتعالى.

والغلاف الجوى (الهوائى) البالغ المرونة هو مصدر تنفس الكائنات البرية ومعظم الكائنات المائية، وهو الوسيط الناقل المجانى للوازم الكائنات الحية من المكونات الغازيةوالجسيمات الدقيقة. وخاصية

"الشفافية-العاكسة" للهواء هى التى تجعلنا نرى الضوء ونأنس بالنور الذى يغمر المحيط من حولنا.

وهذا الهواء هو الذى يمكننا من إنشاء الأصوات ونقلها وسماعها، وبذلك يتشكل معنى الكلام واللغة - فى تصورنا المحدود - كوسيلة للتخاطب والتفاهم فى دنيانا. والتوزيع العجيب للغازات والضغط ودرجة الحرارة والكهرباء عبر طبقات الجو فيه آيات لأولى الأبصار(٨).

وأيضا الغلاف الجوى يمثل الدرع الواقى للأرض مما يتساقط عليها - ليل نهار - من الفتات الكونى المُهلك، لولا فضل الله تعالى.

وفى هدى ربنا (تعالى) يأتى ذكر السماء سابقا لذكر الأرض وشاملا لها ضمنيا، وباعتبار الأرض هى أحد المفردات السابحة فى السماء، ﴿الحَمْدُ للهِ الَّذِى خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأرض وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّور ..... الآية (١) -الأنعام﴾. وأحيانا تُذكر السماء (مفردة) فى سياق الحديث عن وظيفة أو وظائف محددة، وأحيانا تُذكر السماوات (جمع) فى سياق الحديث عن آيات أشمل، وهو سبحانه وتعالى أعلى وأعلم.

# الكون

المقصود بالكون هنا هو الحيز السماوى أو الحيز (الدنيوى) الذى يحتوينا بأرضنا ويحتوى الكواكب والنجوم والمجرات، أو مانسميه بالحيز الكونى، وهى تسمية تبدو مشتقة من الأمر العلوى "كُن". وبما أن معرفة الناس بالأرض أقرب وأعمق من معرفتهم بالسماء، فإننا نركز

هنا على ماهو خارج نطاق كوكب الأرض؛ لنستشف ما يتيسر من عجائب السماء.

فالمجرات الكونية التى تسبح فى السماءلاحصر لها، لكن المؤكد أنها بالمليارات. ومفردات هذه المجرات تسبح، فى حيز كونى يتمدد بمعدلات يتعذر تصور ضخامتها، وسط طاقات متنوعة الأشكال تنساب بلاحدود يمكن إدراكها، لكن ماندركه منها نراه يعمل وفق نواميس محكمة تمكننا من التعامل العقلى معها بلامراوغة. تلك هى السماء الدنيا.

هذا العالم العجيب تتدلى فيه شُعيرات أهداب العالم اللامشهود، وأصبحنا نعرف أنه تسبح فيه طاقات وتموجات يمكن رصد بعضها، وهى مرسلة ومسافرة منذ ملايين وبلايين السنين؛ لتؤدى الوظائف المقدرة لها فى كل حين بأمر ربها، وهذه الطاقات تتحول وتتجدد وتبتلعها بالوعات نجمية تسمى بالثقوب السوداء لتطوى صفحات لا يعلمها إلا العليم الخبير، وهى نوعية غريبة من المكونات الفضائية تكنس الكون وتبتلع كل مايقترب من محيطها – حتى الضوء – فتغيبه فى ظلمات العالم الخفى الذى لا يرى. وهناك النجوم العملاقة "سوبر نوفا"، والنجوم النابضة التى تطرق الكون بقدرة نبضها الهائلة، ومن رحمة ربنا بنا وحفظه (تعالى) لنا أن جعلها بعيدة جدا عنا.

ونسبة حجم الجمادات (أو المواد المعروفة) التى تسبح فى هذا العالم الفلكى ربما تقل كثيرا عن نسبة حجم الأسماك والأحياء المائية بالنسبة

لحجم المحيطات، مما يدل على أن العالم المادى هو الاستثناء، بينما العالم اللامادى هو السائد والأساس فى الوجود.

هذا العالم الفلكى ملئم بمليارات المفاعلات الذرية العملاقة المتفجرة، والتى تندمج، منذ ملايين السنين، ولازالت تتفجر وتندمج، ولكن الحافظ (جل وعلا) يحفظنا من مخاطرها ولايكاد يصلنا منها إلا ماينفعنا فى حياتنا وما يذكّرنا بعظمة ربنا (تعالى).

وبخلاف المادة والطين، فالسماء مليئة بالمخلوقات الغير طينية (غير مادية) والتى تتنقل بلا مركبات، وتتخاطب بلا أصوات، وترى بلا ضوء، وتكتب بلا مداد كالذى نعرفه أو نألفه. وقد جاء فى صحيح الحديث الشريف ما أخرجه ابن مردويه عن أنس (رضى الله عنه): " أطت السماء ويحق لها أن تئط، والذى نفس محمد بيده، مافيها موضع شبر إلا وفيه جبهة ملك ساجد يسبح بحمد ربه".

لا إله إلا أنت سبحانك .....

وهذا العالم الفلكى (السماء)، باعتباره من جند الله (تعالى) فله عواطف وأحاسيس، غير التى نعرفها، لكنه يفرح بالمؤمنين لتوافقهم مع مراد الله (تعالى)، ويغضب لانتهاك الحرمات، ولايعبأ بهلاك الكافرين، غير المأسوف عليهم، ودليل ذلك قول ربنا (تعالى) بخصوص قوم فرعون: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ (٢٩) - الدخان﴾.

هذا العالم الهائل بمن فيه - من المخلوقات العاقلة وغير العاقلة - منضبط على أكمل وجه، ويسبح بحمد خالقه - تبارك وتعالى علوا

كبيرا، ﴿تُسبّحُ لهُ السّماوات السّبعُ ومن فيهِن وإن مِن شيء إلا يُسبّحُ بحمده .... الآية(٤٤) - الإسراء﴾. هذا برغم قوى الطرد والجذب الفيزيائى التى يسبح بعضها حول بعض.

وعالم الأفلاك يغمره ظلمة رهيبة نظرا لضآلة نسبة المواد العاكسة للضوء المرئى لنا؛ بسبب ندرة المواد (الجمادات) فى المساحات الشاسعة بين السابحات الكونية من نجوم وكواكب وأقمار وأحجار وغبار، والضوء لايتضح لنا إلا إذا انعكس على شيء مادى.

هذا العالم العجيب الغريب علينا سنصعد فيه بأرواحنا حين يأمر ربنا - جل وعلا - تاركين وراءنا تلك الهباءة الكونية التى تسمى كوكب الأرض، بما عليها من صراعات وآثام، يتصارع على جيفتها الحمقى والسفهاء والعميان. وعند ما يجد الجد ويُرغم المجرمون على الصعود فى هذا العالم الذى كانوا ينكرونه أو يتجاهلون أخبارد ستذهلهم المفاجآت، ويصفهم العليم الخبير فى تلك الحال، فيقول عز وجل: ﴿ولوْ فتحْنا عليْهِم بابا منَ السَّمَاءِ فظَلُّوأ فِيهِ يَعرُجُون (١٤) لقالُوا إنَمَا سُكِّرتْ أبْصارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مسْحُورون (١٥) - الحجر﴾! تبدل كل شيء، فقدت العين وظيفتها، ولم يعد الضوء هو الضوء المرئى!! ثم تخبط ... يليه تخبط فى الظلمات، الأمر أشبه مايكون بالسحر!! ماهذا؟ إنه من عالم الغيب ..... انقلب مشهودا .....

# عالم الجن

الجن من المخلوقات القوية العاقلة المُكَلّفة والغير مرئية – بالنسبة لنا – والتى خُلقت من نار قبل خلق الإنسان، ﴿والجآنَ خَلَقنَاهُ مِن قَبل مِن نار السمُوم (٢٧) –الحجر﴾. وقد خُلقت الجن لتعبد الله (تعالى) مثلنا وكما أمرها، ﴿وَمَا خَلَقْتُ الجِنَ وَالإنسَ إلا لِيَعْبُدُونِ (٥٦) – الذاريات﴾. ومعلوماتنا عن الجن هى ما أخبرنا الله (تعالى) بها، ليس أكثر وهى لاتخضع لرصد وسائلنا، وليست من المسخرات.

وللجن تكليفات ورغبات وشهوات ومآرب، ومنهم الذكور والإناث، وتتضخم لديهم الأنا كما هو الحال لدى الكثيرين من الإنس؛ فالجن يأكلون ويشربون ويُرزقون ويتناسلون ويختلفون ويتصارعون. والجن مخيرون، ومنهم الملتزمون ومنهم المفرّطون والفوضويون والمهرجون والكذبة، كما هو الحال عند الإنس.

والجن بطبيعتهم الغير طينية يرون بغير مانرى، ويتفاهمون بوسائل غير المعهودة عندنا.

والجن أمم وطوائف متباينة، يتكاثرون ويموتون، والآثار المروية بخصوصهم تدل على أنهم أطول أعمارا من البشر، ويتابعون بعض أخبارنا، والبعض منهم كان يحضر مجلس نبى الله سليمان (عليه

السلام)، وهم أخف وأشف من البشر ولهم قدرات تتفوق على قدرات عوام البشر، بدليل أن أحدهم أعرب عن قدرته على إحضار عرش "بلقيس" ، من اليمن إلى الشام فى ساعات، ﴿قَالَ عِفرِيتٌ مِن الجنِّ أنا ءَاتِيك بهِ قَبْل أن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِى عَلَيهِ لَقَوِىٌّ أمينٌ (٣٩) - النمل﴾.

والجن يشاركوننا الحياة على ظهر الأرض، دون أن نشعر بهم، ويتواجدون أيضا فى مساحة من السماء المحيطة بالأرض، بدليل أنهم كانوا يتسمعون أخبار السماء، ﴿وَأنَّا كُنَّا نَقْعُدَ مِنهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمعِ فَمَن يسْتَمِعِ الأن يَجدْ لَهُ شِهَاباً رَصداً (٩) - الجن﴾.

والجن كائن أرضى سماوى، ولذلك فلفظ الطيران بالنسبة للجنى يعتبر وصفا غاية فى التواضع؛ لأن حركته أخف مما يمكن أن نتصوره من حركات.

وقد سخرالله (تعالى) الجن لسيدنا سليمان - عليه السلام - ﴿.... وَمِنَ الجنِّ مَن يَعمَلُ بَينَ يَدَيْهِ بِإذنِ ربِّهِ ..... الآية (١٢) - سبأ﴾.

والجن يفهمون لغة البشر، وقد استمع بعضهم لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) وهو يتلو القرآن وءامنوا به، ودليل ذلك قوله، عز من قائل: ﴿وَإذ صَرَفْنَا إلَيْكَ نَفراً مِنَ الجنِ يَستَمِعُونَ القُرءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أنصتُوا .... الآية (٢٩) - الأحقاف﴾.

والجن يشتركون مع الملائكة فى أصل الخلقة وبالتالى فى القدرة على التشكل فى هيئة مخلوقات طينية، سواء كانت بشرية أو حيوانية.

# إبليس وقبيله

إبليس، زعيم الشياطين، عرّفه ربنا – جل وعلا – بأنه عدونا الأول الذى أعماه غروره وجهله، فلم يفهم الحكمة من وراء استخلاف الإنسان – فى الأرض – فضل وأضل، وخسر نفسه. فعداوة إبليس (والشياطين) للإنسان مثبتة فى كتاب الله وعريقة ومتواصلة إلى آخر الزمان . وعمر إبليس ممتد منذ عاصر آدم (عليه السلام) فى الجنة إلى يوم يبعثون، ﴿قَالَ أَنظِرنِى إِلَى يَومِ يُبْعَثُونَ (١٤) - الأعراف﴾، فأمهله الله (تعالى)؛ ليزداد خسرانا.

تلك هى الحقيقة التى لم نشهد بدايتها ولكن وصلنا خبرها ونعيش بعض فصولها المتأخرة، والأدلة السلوكية للبشر تؤكدها. والأحاديث الصحيحة، التى تحدرنا من الشيطان، بالمئات فى كتب السنة، وسنذكر منها مايكفى لإثبات حقيقته وأغراضه. هذا فضلا عما نراه من عداوات ومشاحنات تشتعل فيها النيران بلا مبرر عقلى ولا منطق مقبول، لكنه من عمل الشيطان وكيده لبنى آدم.

والشياطين يتواجدون معنا على الأرض ومنذ أن قال الله (تعالى) لهم ولآدم وحواء – عليهما السلام، ﴿.... وَقُلنَا اهبِطُوا بَعضُكُم لِبَعضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِى الأرضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ الآية (٣٦) - البقرة﴾. وللشياطين تجمعات يكثرون فيها ويفضلونها.

ومن حكمة ربنا ورحمته بنا أنه (تعالى) قد أخفى إبلس وقبيله عن أعيننا، فجعل ذلك الخفاء من الابتلاء المغيب عنا. ولكل إنسان قرين من الشياطين، لا يمل من محاولات غوايته.

ولأن الشيطان مخلوق طريد ووضيع فقد مكن الخلاق العليم بعض العجماوات من رؤيته –حتى فى ظلمة الليل – ومطاردته والتنديد به بطريقتها. فقد صح فى مسند الإمام أحمد وفى الأدب المفرد للبخارى وفى صحيح ابن حبان ومستدرك الحاكم، عن جابر (رضى الله عنه) قول النبى – صلى الله عليه وسلم: "إذا سمعتم نباح الكلاب ونهيق الحمير بالليل فتعوذا بالله من الشيطان فإنهن يرون مالا ترون..... الحديث".

وخطورة إبليس علينا تستند إلى حقيقة أنه يرانا – هو وقبيله من الشياطين – ونحن لانراه. فكيف نواجه عدوا لانراه، بدون هداية تنبهنا وتحذرنا؟ إنه يستدرج معظمنا ويُلبّس علينا ونحن لاندرى، ومداخله تفوق الحصر، وهذا من البلاء العظيم. الشيطان يتربص بابن آدم منذ مولده حتى وفاته. فقد أخرج الإمام مسلم فى صحيحه عن أبى هريرة (رضى الله عنه) أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: "كل بنى آدم يمسه الشيطان يوم ولدته أمه إلا مريم وإبنها" ؛ وذلك لأن الرحمن قد استجاب دعاء إمرأة عمران حين دعت لمولودتها المطهرة: ﴿... وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّى أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ (٣٦) – آل عمران﴾.

والوقاية من الشيطان الرجيم تكون باللاستعاذة الصادقة بالله من الشيطان، والتزام هدى السماء؛ لنعلم حيل الشيطان ومداخله وتلبيساته. فأقوياء الإيمان والمخلصين لاحيلة للشيطان معهم. وقد صح فى الحديث الشريف الذى أخرجه الإمام أحمد والترمذى وابن حبان، عن بريدة (رضى الله عنه) : "إن الشيطان ليفر منك ياعمر".

ومحاولات الشيطان لتضليل ابن آدم تستمر حتى آخر لحظة فى حياته. وقد ذكر الحافظ أبو نعيم -فى حلية الأولياء بسنده - أن عبد الله بن أحمد بن حنبل قال: "حضرت أبى الوفاة فجلست عنده وبيدى الخرقة - وهو فى النزع - لأشد لحييه، فكان يغرق (يغمى عليه)حتى نظن أنه قد قُضى، ثم يفيق ويقول: لا بعد ... لا بعد بيده، ففعل هذا مرة ثانية، فلما كان ذلك فى الثالثة قلت له: ياأبت إيش هذا الذى قد لهجت به فى هذا الوقت؟ فقال لى: يابنى ماتدرى؟ فقلت: لا! فقال: إبليس لعنه الله، قام بحذائى عاضا على أنامله يقول: ياأحمد فُتّنى. وانا أقول: لا بعد، حتى أموت".

ويوم الحساب سيحاول الشيطان أن يتبرأ من جناياته فى حقنا فيقول ﴿.... وَمَاكَانَ لِيَ عَلَيكُم مِن سُلطَانٍ إلا أن دَعَوْتُكُم فَاستَجَبْتُم لِي فَلا تَلُومُونِي وَلُومُوا أنفُسَكُم .... الآية (٢٢) - إبراهيم﴾.

طبيعة إبليس وشياطين الجن بالغة الخفة والمرونة بالنسبة للطبيعة الطينية الثقيلة للإنسان. ولذلك فالمعركة تبدو غير متكافئة بين الإنسان بذاته وبين إبليس بحيله ومراوغاته، فظاهر القدرة - بالتخفى والخفة - يميل لصالح الشيطان، وبدون الاستعانة والاستعاذة بالله لايمكننا

مواجهة هذا العدو الخفى الذى يترصدنا، و"يجرى فينا مجرى الدم فى العروق" - كما جاء فى الحديث الشريف المتفق عليه عن أنس وعن أمنا صفية - رضى الله (تعلى) عنهما.

وفوق ذلك فإبليس يُجند ويستعبد الملايين، بل المليارات، من البشر ممن يُطلق عليهم مصطلح 'شياطين الإنس"، يدخل عليهم من مداخل الشهوات وطول الأمل، ومن أبواب التشكيك، والخوف على الأولاد، والاغتراب .... إلخ. فقد أخرج الطبرانى فى الكبير عن ابن عمرو (رضى الله عنهما) عن خير الأنام عليه الصلاة والسلام: "إن الشيطان يأتى أحدكم فيقول: من خلق السماء؟ فيقول الله، فيقول: من خلق الأرض؟ فيقول: الله، فيقول: من خلق الله؟! فإذا وجد ذلك أحدكم فليقل: آمنت بالله ورسوله". فقد بلغ التضليل والكذب بالشيطان إلى الحد الذى جعله يشكك الناس فى وجود رب الوجود - تبارك وتعالى - وله من البشر فى هذا المجال جنود وخُدام من الفلاسفة والكتاب ينتشرون فى الساحة ببجاحة فى كل العصور.

وملازمة الشيطان للبشر تتواص ليل نهار حتى أثناء النوم، فقد جاء فى صحيح مسلم وفى سنن ابن ماجه، عن جابر بن عبد الله (رضى الله عنه) عن خير الأنام عليه الصلاة والسلام: "إذا لعب الشيطان بأحدكم فى منامه فلا يحدث به الناس". والشيطان أحرص مايكون على صرف الناس عن طرق الخير والاستقامة، وقد صرح هو بذلك كما جا فى محكم التنزيل: ﴿... لأَقْعُدنَ لهُمْ صِرَاطكَ المُستقِيم الآية (١٦) - الاعراف﴾. وفى الحديث الشريف المتفق عليه عن أبى هريرة (رضى

الله عنه): " إن أحدكم إذا قام يصلى جاء الشيطان فلبس عليه، حتى لايدرى كم صلى؟ فإذا وجد ذلك أحدكم فليسجد سجدتين وهو جالس".

الطبيعة المرنة شبه الخفية التى يتصف بها الجن والشياطين تمكنهم من الوسوسة والتشكل وخفة الحركة وسرعة المناورة والمفاجأة وانتهاز الفرص وتحين الظروف المواتية لتحقيق الغرض. فيمكن للشيطان أن يتمثل فى هيئة بشر غريب أو عابر سبيل، ويتبدى لمن يريد من الحضور بغرض المشاركة فى الإفساد والتضليل والتلبيس.

# الصفات الشيطانية

بسبب الطرد من رحمة الله (تعالى)، فالشيطان قد باء – هو وأعوانه من الجن والإنس – بكل الصفات القبيحة. فيتصف الشيطان بالكذب والوقاحة والصفاقة والغدر والخيانة والتسفل، وهذ هو الجزاء الدنيوى لمن غضب الله (تعالى) عليهم. ويوجد الشيطان حيثما وُجدت الرذائل والمشاكل المفتعلة، وحيث توجد النجاسات والأفعال القبيحة. ويتمثل الشيطان عادة فى هيئة مخلوقات وضيعة كالكلب والحية واللص والوحش المُخيف.

وعداوة الشيطان للإنسان هى التى تحركه وتولد لديه كل الصفات المعنوية الوضيعة، والنوايا الشريرة والحاقدة.الشيطان يشتاق لإراقة

وسفك الدماء، وإثارة الصخب والضجيج، ويهوى إطالة الجدال والنفخ في العُقد وإثارة الأحقاد والضغائن.

التبذير صفة شيطانية، وهي من أبرز علامات إنكار الشيطان لنعم الله (تعالى). والمبذرون من البشر هم ﴿إخوان الشياطين﴾ ويكفرون بنعم الله (تعالى) عليهم فينكرونها ويبذرونها. وبرغم تبذيرهم للنعم الوفيرة فلا يكف الشيطان عن تخويف أعوانه من الفقر وتقلبات الأيام!

والكبر من الصفات الشيطانية التي كانت سببا في طرد الشيطان من رحمة ربنا الرحمن. وكِبر المخلوق وغروره يدل على وفرة الحماقة لدى المغرور، رغم أنه لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا.

obeikandl.com

# عالم الملائكة

﴿الحَمْدُ للهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ والأَرْضِ جَاعِلِ المَلائِكَةِ رُسُلا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الخَلقِ مَا يَشَاءُ إنّ الله عَلَى كُلّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (١) - فاطر﴾، الملائكة مخلوقات مجنحة بالغة الضخامة والقوة وعلى غير ما نتصور. عالم الملائكة عالم عاقل غير مادى، وغيبى بالنسبة لنا؛ لأن الملائكة مخلوقات سماوية شفافة، وقد خُلقت قبل أبينا آدم – عليه سلام الله.

الملائكة مخلوقات نورانية قوية عملاقة، هم أهل الملأ الأعلى. وقد صح فى مسند أحمد وفى صحيح مسلم عن أم المؤمنين (عائشة رضى الله عنها) عن خير الأنام (عليه الصلاة والسلام) أنه قال: " خُلقت الملائكة من نور، وخلق الجان من مارج من نار، وخلق آدم مما وصف لكم". فالملائكة نماذج سماوية سامية، وتسبق المخلوقات الطينية – من أمثالنا – فى الصفاء وفى معرفة الله تعالى.

وبسبب هذه الخِلقة النورانية، والقرب من الله (تعالى)، والقِدم التاريخى فالملائكة أعلم بالله (تعالى) من عامة البشر. وهم جند الله المخلصين، وهم أشبه مايكون بالنور، وهم متوافقون مع مراد ربهم – جل وعلا. والملائكة يفهمون كل لغات البشر والظروف التى يعيشون

فيها، وقد مكنهم الله (تعالى) من التشكل فى أكثر من صورة وهيئة. وبسبب هذه الخلقة الشفافة (الغير طينية) فيتعذر على عوام البشر رؤية الملائكة إلا حين يأذن العلى القدير بذلك.

ورغم تعذر هذه الرؤية فى الظروف العادية فالإيمان بالملائكة واجب؛ لأن خبرهم وصلنا موثقا عن طريق أصدق الخلق، وهم الرسل والأنبياء – سلام الله عليهم أجمعين – ولأن العديد من البشر (الصالحين) قد رأوهم وتحدثوا معهم. ولكل إنسان قرين من الملائكة.

وإنكار وجود الملائكة يعد جهلا خطيرا وتكذيبا للرسالات السماوية، وللصادقين من البشر، ولن يغدر الدنيا بشرٌ قبل أن يراهم ليأخذوه إلى مصيره الذى يليق به. وبعض الملائكة معروفون بالاسم كجبريل وميكائيل وإسرافيل ورضوان ومالك، ومنهم الزبانية وغيرهم. وأيضا بعض وظائف الملائكة معلومة لنا، فمنهم من يقوم بالتبليغ عن الله(عز وجل)، ومنهم من يوكل بقبض الأرواح، ومن يكلف بالنفخ فى الصور، ومن يكتب الحسنات ومن يكتب السيئات، والحفظة، والسياحون، وحملة العرش، والزبانية .... إلخ. ومن الملائكة من يشاركنا فى بعض أمور حياتنا كالحفظة والقرناء. ومنهم من يتدخلون فى بعض الأزمات – بأمر ربهم – ومنهم من يشارك فى القتال، كما حدث يوم موقعة بدر الكبرى. ومن الملائكة من يسيح فى الأرض يلتمس مجالس الذكر، كما جاء فى الحديث الشريف المتفق عليه عن أبى هريرة (رضى الله عنه) أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: "إن لله ملائكة سياحين

فى الأرض، فضلا عن كتاب الناس، يطوفون فى الطرق يلتمسون أهل الذكر ..... الحديث".

# الصفات الملائكية

القرب الملائكى من الله (تبارك وتعالى) جعل الملائكة كائنات صافية مُخلصة تذوب رقة بسبب مداومة ورودها إلى رحاب العظمة الإلهية، وبسبب الطاعة المطلقة التى جُبلت عليها. وهذا القرب السعيد أكسب الملائكة فيضا من الجلال الإلهى كالحلم والرحمة والجمال والحِفظ والكرم والعلم، ﴿وَإِنَّ عَلَيكُمْ لَحَافِظِينَ (١٠) كِراماً كَاتِبِين (١١) يعْلَمُون ماتفْعَلُونَ (١٢) - الانفطار﴾. ولم يرد فى الآثار أن الملائكة يأكلون أو يشربون أو يتناسلون بالمعانى التى نتصورها. والحديث عنهم يكون بصيغة المذكر، ومن يتمثل منهم يتمثل فى هيئة الرجل، وليس المراة أو الأنثى كما يزعم الكفار.

الملائكة بسبب صفاتهم النقية فإنهم يكثرون فى مواطن الخير وينفرون من مواطن الشر ومن الأشرار، وينفرون من الأماكن التى فيها أصنام وتماثيل وعورات مكشوفة وصلبان .... إلخ. والملائكة يتصفون بكل الصفات الإيمانية ومنها الحياء، وقد ورد فى الحديث الصحيح، فى مسند أبى يعلى، عن أمنا عائشة (رضى الله تعالى عنها) قول الصادق الأمين (صلى الله عليه وسلم): "إن عثمان حيى ستير، تستحى منه الملائكة".

ويستفاد من أخبار السماء أن أعمار الملائكة أطول مما نتصور، بدليل ان جبريل قد عاصر العديد من الرسل على مدى آلاف السنين، فهم قد خُلقوا قبلنا وسيموتون بعدنا . ولانعرف هل تتكاثر الملائكة أم أن الأمر على غير مانفهم بهذا الخصوص؟

لكن عالم الملائكة عالم حقيقي فيه مخلوقات نورانية شفافة تؤدي الأدوار المكلفة بها، وهم بلا شهوات ولا يختلفون ولا يتصارعون و﴿يخافُون ربّهُم من فوقهم ويفعَلُون مايُؤمرُون (٥٠) - النحل﴾. فقط يفعلون مايؤمرون، بخلاف الإنسان الذي يفعل مابدا له.

الملائكة يسجدون لعظمة ربهم ﴿يُسَبّحُون الليل والنّهَار لايفتُرُون (٢٠) -الأنبياء﴾. ويستفاد من هذه الآية الكريمة أن الملائكة يُلهمون التسبيح ولايحتاجون للنوم كالبشر، ووظائفهم تخصصية ومحددة، والطاعة خالصة والالتزام مطلق. لامجال للهزل ولا للتراخي، كل شيء محدد ومنضبط.

أماحملة العرش ومن حوله فهم قمة - والمثل الأعلى - في الطاعة والجدية؛ لشدة قربهم من جلال العظمة المطلقة، ويستشعرون رحمة الرحمن الرحيم فتفيض عليهم، ويدعون للمؤمنين والتائبين ﴿الّذين يحمِلُون العرش ومن حولهُ يُسَبّحُون بحَمد ربّهِم ويُؤمِنُون به ويستغفرُون للّذين ءامنُوا ربّنا وسعت كُلَّ شَيء رحمةً وَعلما فَاغفِر للّذين تابُوا واتّبعُوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم (٧) - غافر﴾. وحملة العرش برغم شدة قربهم من الله فهم لايرونه بدليل قوله تعالى: ﴿ويُؤمنُون به﴾؛ فالإيمان يكون بغيب وليس بمشهود.

والملائكة بسبب مغايرة تركيبهم لتركيبنا فهم يرون بغير مانرى ويتخاطبون فيما بينهم بلغة لانعرفها، ويسبحون فى عوالم سماوية لا ندرك كنهها.

# رؤية الملائكة

الملائكة كمخلوقات نورانية يتعذر على الإنسان العادى أن يراها إلا بإذن الله، وبعض المخلوقات - غير البشر - ترى الملائكة. فقد صح فى الحديث الشريف المتفق عليه، عن أبى هريرة (رضى الله عنه): "إذا سمعتم أصوات الديكة فسلوا الله من فضله، فإنها رأت ملكا، ..... الحديث".

ورد فى العديد من المصادر الصادقة أن بشراً قد شاهدوا الملائكة وتحادثوا معهم وتعاملوا أيضا. هؤلاء البشر هم الأنبياء وبعض الصالحين من البشر. فكل القرآن الكريم نزل به الروح الأمين على قلب خاتم الأنبياء والمرسلين - صلى الله عليه وسلم. وأخبار التعاملات بين الأنبياء والملائكة تفوق الحصر، فما من رسول إلا وتعامل مع بعض الملائكة، كضيف إبراهيم ولوط - عليهما سلام الله - والتفاصيل المتعلقة بذلك عديدة فى كتاب الله لمن أراد المزيد. والملائكة كانت تنادى زكريا - عليه السلام - ﴿فَنَادَتهُ الملائكةُ وهُو قائمٌ يُصلى فى المحراب ..... الآية (٣٩) - آل عمران﴾.

وقد ورد فى محكم التنزيل أن سيدة نساء العالمين (مريم ابنة عمران – سلام الله عليها) رأت جبريل – عليه السلام، ﴿.... فأرسلنا لها رُوحنا فتمَثلَ لها بشراً سوياً الآية (١٧) – مريم﴾. وكانت الملائكة تؤنسها وتخاطبها، ﴿وإذ قالَتِ الملائكةُ يَامريمُ إنّ الله اصطفاك وطهّرك واصطفاك علَى نساء العالمين (٤٢) يَمَريَمُ اقنُتِى لربك واسجُدى واركعِى مع الركعِين (٤٣) – آل عمران﴾.

ومن الصالحين، الذين رأوا جبريل (عليه السلام)، بعض صحابة الرسول (صلى الله عليه وسلم) منهم – على سبيل المثال لا الحصر – عمر بن الخطاب – راوى الحديث الشريف المشهور فى الصحاح : ' بينما نحن جلوس عند رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر ، لايُرى عليه أثر السفر، ولايعرفه منا أحد، ..... الحديث". و ممن رأوا جبريل (عليه السلام) على بن أبى طالب، وأم المؤمنين (عائشة)، وأسيد بن حضير، رضوان الله عليهم أجمعين، والروايات الصحيحة عديدة، نكتفى منها بالأمثلة السابقة لمجرد الإثبات.

والملائكة حين يتمثلون فإنهم يتمثلون فى أجمل هيئة، لأنهم من أهل الملأ الأعلى ، ولذلك فشدة جمالهم بهرت قوم لوط.

# عالم الفكر

الفكر من أشد عجائب الوجود؛ فعالم الفكر هو النسيج الرمزى الشفاف والحساس الذى يربط بين مختلف العوالم – فى تصوراتنا – بروابط متباينة تتوقف جودتها على نوعية فكرنا. ولا فكر بدون عقل، وبالنسبة للبشر فالفكر يتمثل فى عقل الإنسان بالتجارب والخبرات وبالتلقى والتأمل والإلهام، ويكون ذلك على هيئة جمل معنوية، منها ما يتمثل على هيئة الصور المرئية المعروفة، والتعبيرات الرمزية، والجمل التعبيرية (اللغوية) كتلك التى أتت بها رسالات الهدى، ومنها الصياغات البشرية المستخدمة فى التعامل والتفاهم والتواصل والتعليم، وفى الدعوة إلى الله – تبارك وتعالى.

والفكر هو أشف وأرقى ما يتعامل فيه العقل البشرى، وهو أبرز دليل على وجود وأهمية العوالم اللامادية وتواصلها الخفى بالعوالم المادية. والفكر عالم متنوع كالعوالم المشهودة والعوالم الغير مشهودة، وربما يجمع الفكر بعض خصائص العالمَين، ففى الفكر جوانب تظهر بعض انعكاساتها فى الأقوال والأفعال، وفيه جوانب أخرى لايعلم حقيقتها إلا صاحب الفكر وعلام الغيوب – تبارك وتعالى.

لقد كرم الله (تعالى)الإنسان بنعمة العقل ، فالعقل هو القطاع الخفى والجوهرى (اللامادى) فى النفس البشرية، وهو أبرز معيار للجودة الإنسانية؛ فبتقدم العقل تتزكى النفس وبتأخره ينحط الإنسان فيرتد إلى ﴿أسفل سافلين﴾. هذا العقل يتعامل أساسا فى أشياء لامادية. فبرغم أننا نعيش ونتعامل فى عالم مادى إلا أن العقل فى الحقيقة لا يحتوى أى مادة على الإطلاق. إنما هو نظام معلوماتى يحتوى بعض المعلومات عن بعض الأشياء المادية التى يحسبها مؤكدة، وعن الأشياء الغير مادية التى يتشكك فى بعضها، وهذا هو علم الإنسان، العلم القليل.

فلو فرضنا - جدلا - أن مشرط الجراح فتح مخ شخص ضال ونفس المشرط فتح مخ إنسان مؤمن فلن نرى شيئا ذا دلالة على نوعية فكر هذا أو ذاك، لكن الفكر يقوم على تصوراتنا للأشياء، وفى ضوء هذا الفكر نتعامل مع ما حولنا، ومع أنفسنا. وجدير بالذكر أنا قد فصلنا طويلا - فى كتاب العقل(٧)- للتمييز بين العقل والمخ، وبين العقل والذكاء.

# خفاء الفكر

الفكر عالم شبه خفى يربط بين عالم الإنسان (بشقيه: المادى والروحى) وبين بقية العوالم التى يعرفها أو التى تعنيه، المشهود منها والغيبى. وبسبب الخفة الفائقة للفكر فمن الممكن أن ينتقل من الشرق إلى

الغرب أو من الأرض إلى السماء فى لمح البصر بينماجسد المفكر لم يتحرك. وبما أن الفكر شىء خفى فمحدداته ومعالمه أخفى. ولذلك فمهما ضل الضال لن يشعر بضلاله مادام ينكر المعالم الهادية. ووجود بلا فكر إيمانى يعنى الحيرة فى أحلك الظلمات، والتحرك عندئذ محاط بالمهالك. وبرغم خفاء الفكر إلا أنه يضىء حين يصح، ويحرق حين يضل.

والفكر الصحيح لاينشأ - فى العقول - إلا على أساس من العلم الصحيح؛ فالعقل كملكة يتغذى ويُصقل بالعلم الصحيح المتكامل. وأزمة الفكر البشرى على مر العصور سببها أن الإنسان يثق كثيرا فيما تشكل فى موروثاته وتصوراته (المتواضعة) عن الأشياء المادية، ويتشكك كثيرا فى أخبار الأشياء اللامادية والغيبية، حتى وإن كانت كاملة الصحة.

والاكتشافات العلمية والتطورات التكنولوجية الحديثة بهرت معظم العقول ومالت بها بعيدا عن الجانب الروحى (اللامادى) الذى يدعم تكوين الإنسان السوى. هذا مع العلم بأن الأشياء المادية أو المشهودة تتمثل ابتكاراتها أولا فى عقل صانعها - وهو عالَم خفى - ثم تظهر للوجود بعد ذلك فتكون ملموسة.

والشىء الخفى يظهره من أخفاه حين يشاء، ومن أمثلة ذلك قول العليم الخبير: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً (٥) إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً (٦) - الشرح﴾. اليسر موجود مع العسر، لكنه غير مرئى، ثم نراه يظهر حين يأذن القوى العزيز. وفضلا عن تواضع معنى الصدق بجوار عظمة كلام ربنا تبارك

وتعالى، فلا أحسب أنه يوجد فى أى صياغة توكيدية يمكن ان تضارع البلاغة الناطقة فى الآيتين السابقتين. فمن المعلوم فى اللغة أن تكرار الجملة يؤكدها، ويتعزز التوكيد بحرف "إن" وقد تكرر هو الآخر فى داخل الجملة. ويقول بعض أصحاب التفاسير أن "العُسْر" المُعرَف ب "ال" مُكرر أى هو هو ، أما لفظ "يُسرا" فغير مكرر لأنه نكره، وبذلك يوجد يسران فى مقابل عسر واحد. ورغم ذلك نرى الواحد؛ لظهوره ولا نرى الإثنين بسبب الخفاء المؤقت.

وأبرز ما نعرفه عن فكر فلان هو ما نفهمه من كلامه، وعرفنا فكر النبى الكريم – الذى لم نره – من كتب السيرة والسنة، وأيضا قد عرفنا عن الله العلى القدير بقدر ما فهمنا من كلامه المبين، وقد رسم لنا سبل الهدى والسلام بكلامه النورانى المقدس، ﴿..... وكُلا ضربْنا لهُ الأمْثال ..... الآية (٣٩) – الفرقان﴾.

# مستوى الفكر

عالم الفكر شديد التنوع والتباين، وهناك لدى البشر مخاليط من الفكر القويم والفكر السقيم، والصالح والطالح. ولايوجد فكر بشرى يخلو من التخليط أو الانحراف أو التخبط، ويستثنى من ذلك فكر من اتصلت قلوبهم بربهم تبارك وتعالى.

ومن نافلة القول نذكّر بأن الهدى الربانى المتمثل فى الرسالة السماوية يمثل نوعا من الفكر الإلهى المحض، وله المثل الأعلى،

﴿لايَأتِيهِ البـاطِلُ مـن بَـينِ يَديْـه ولا مِـن خلْفِـهِ تـنزِيلٌ مِـنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ (٤٢) - فصلت﴾، من هنا ينبع النور المبين الذى يبدد الظلمات.

ومن يقل أن لديه حديثا أو فكرا يضاهى ماجاء من عند ربنا - جل وعلا - فالقرآن الكريم يكذبه، ﴿أَللهُ نَزَّلَ أَحسَنَ الحَدِيثِ كِتاباً مُّتَشَابِهاً مَّثَانِى ... الآية (٢٢) - الزمر﴾، ﴿.... وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللهِ حَدِيثاً الآيـة (٨٧) - النساء﴾، فكلام الله (تعـالى)هـو أصدق وأحسن مـا يُشكل العقل الرشيد والفكـر المستنير. ومـن يزعـم أنـه ألف قصصا للحكمـة والاعتبار أحسن أو يقترب من مستوى ما جاء فى قصص القرآن الكريم فهـو إما جاهل أو كـاذب؛ لأن العليم الخبير يقـول وقوله الحق: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ القَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَـذَا القُـرْءَانَ .... الآيـة (٣) - يوسف﴾.

والفرق هائل بين قصة مختلقة (وضعيفة الصياغة) فـى خيـال مؤلف - قليل العلم ومُخلط أو منحاز أو مُغرض أو متعصب ... - وبين الصياغة المثلى والتسجيل الحـى لأحداث وقعت فـأثرت وتـأثرت.وجاشـت بهـا العواطف وأحست بهـا الأحاسيس، والـذى يـروى خبرهـا هـو العليـم الخبير الحكم العدل الذى دبرهـا وقدرهـا ويعلـم دقـائق تفاصيلها قبـل أن تخرج للوجـود، وبعد أن تحققـت كمـا رُسمـت؛ لتفيـض بالحكمـة وتكون عبرة لمن يعتبر وموعظة لمن يتعظ.

بالفكر يتوجه الإنسان فى أعماله وتحركاته وسكناته، وبالفطرة تُنفذ جوارحه ما توجه إليه. ويلعب الفكر أبرز دور فى سعادة الإسان أو فى شقائه.

والفكر القويم يصل عالم الدنيا الفانية بعالم الآخرة الباقية والغيب بالشهادة.

أما الفكر السقيم فيتقوقع فى عالم الطين، وتكرر ذلك التقوقع كثيرا ومازال؛ بسبب الصدام والفصام النكد الذى حدث بين العلم الطبيعى (والوضعى) وبين الفكر الكنسى البشرى(؟!) منذ قرون، مما حنى على قدسية الدين فى فكر البعض، حتى الدين الصحيح فلم يسلم من عداء المخاصمين والمدفوعين للتحمس للعلوم الطبيعية وحدها، فبرزت للوجود موجات فكرية إلحادية تطارد الأديان والمتدينين.

هذه الموجات تسترت وراء مايسمى بالفلسفة، ودعمتها السلطات الجائرة التى تخشى أن يكشف الدين الصحيح عوراتها ويدين مظالمها وبالتالى يهدد العروش الزائفة ويزيل الغشاوات فتتعرى الأصنام.

الفكر يبقى بعد زوال الدنيا؛ لأن الفكر أساس الأعمال وفيه تكمن النوايا ومكنون القلوب وماتخفى الصدور، ولذلك فمن الأهمية بمكان أن نحرص على تخليص الفكر مما يعلق به من ضلالات وأوهام وأباطيل وخرافات؛ حتى لايتحسر الإنسان حين يكتشف أنه اغتر

بخداع الألوان، ومعسول الكلام ، وفتافيت العلوم الطبيعية المؤقتة والمبتورة الجذور.

وعمق التفكير محكوم بمدى معرفة الجذور الممتدة بين العوالم.

# التصور المعكوس

الفكر هو ناتج تفاعلات التصورات العقلية، والتصورات هى أساس عمل العقل ووجوده. وحين يعجز العقل عن تصور قضية ما فإنه يرفضها أو يحاول تجنبها، وكما يقولون فالإنسان عدو مايجهل. وحين نتصور الأمر معكوسا أوْ مائلا فإننا نتصرف تجاهه تصرفات معكوسة أوخاطئة أيضا، ونحسب أننا نحسن صنعا. وكل مفكر عاقل لابد أنه مر بأكثر من تجربة تؤكد عمق قول العليم الحكيم: ﴿.... وَعَسى أن تُكرهُوا شَيْئاً وهُو خيْرٌ لكُم وَعَسى أن تُحِبُوا شَيْئاً وهُوَ شَرٌّ لَكُم واللهُ يَعْلَمُ وَأنتُمْ لا تعلمُون الآية(٢١٦) – البقرة﴾.

وكثيرا ماتبين لنا أن ماكنا نحسبه مشكلة (ظاهرة)، هو فى الحقيقة حل لمشكلة خافية، مثلا كأن يتعقد الحجز لسفر ما ثم يتبين أن تعذر الحجز كان فى قدر الله (تعالى) لتفادى حادث سيحدث للطائرة المقصودة. والمثال الذى ذكره لنا ربنا فى سورة الكهف، ضمن قصة سيدنا موسى (عليه السلام) والرجل الصالح (صاحب العلم الربانى)، هو من أرقى الأمثال التى يمكن الاستشهاد بها فى هذا الموضع، ولنتأمل:

﴿فانطلقا حتّى إذا ركبا فى السّفِينة خرَقها ....﴾! ظاهر الامر حدوث مشكلة تضر بالمساكين أصحاب السفينة، ولكن الحقيقة ان فى هذه المشكلة يوجد الحل الذى سيحفظ للمساكين سفينتهم بأقل قدر من الخسارة، ﴿... وكان ورآءهُم ملكٌ يأخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غصبا﴾. وهكذا يتضح الفارق فى العلم ،ثم الفارق فى الفهم والتصرف.

وما أكثر ما يكون التصور مختلفا عن الواقع أو مغايرا له إلى حد كبير، والأحلام – لدى العقلاء – مثال واضح لذلك، فالنائم على الفراش قد يرى أنه يجرى ويقفز فى الوديان، أو يطير فى الهواء، أو يصيد السمك وهو يمشى على الماء، وما شابه ذلك، وهذا كله بعيد عن الواقع تماما، فلا يوجد على الفراش ماء ولا سمك. وهكذا يكون الجسد بجوارحه فى عالم بينما العقل فى عالم آخر، ملىء بالصور، والإنسان ينفعل بهذه الصور الغير موجودة فى الواقع حال نومه، وتستجيب الجوارح وتؤدى بعض وظائفها. ويحدث أشياء شبيهة لذلك فى أحلام اليقظة، وفى لحظات الشرود والانفعال الزائد والانبهار. وهذه الحالة قريبة الشبة مما هو سائد فى حياتنا وتصرفاتنا، "والناس نياه فإذا ماتوا انتبهوا".

ومشاكل الغرور والهوس والفصام والبارانويا والجنون هى حالات من الاضطراب الزائد أو الاختلال وتداخل الصور الذهنية التى يعايش معظم الناس بعض درجاتها.دون أن يشعروا بخداعها، وهى حالات مرضية متنوعة، فالمجنون يرى، أو يتشكل فى ذهنه صورا لا يشك فى صحتها، رغم أن مفردات (مكونات) الواقع الفعلى لا تدعمها.

# الاتصال والتواصل

لا جدال – لدى العقلاء – فى أن كل الخلائق والعوالم تتجمع فى قبضة العليم الخبير ، وهى متصلة ببعضها البعض، وتتواصل فى تحولاتها المُقدّرة، الخفية والظاهرة، فى علم المدبر العزيز. وفى العلم الإلهى لاشىء منفصل؛ لأن الانفصال يعنى التفرق وتعدد الأرباب، ولاشىء ينعزل؛ لأن الانعزال يعنى تعطل التفاعلات واضطراب الوظائف وتعارض الأهداف، وهذا لايجوز فى مُلك الحكيم العليم.

وما نراه من صور الانفصال أو ظاهر الانقطاع (الانعزال) هو بسبب نقص علمنا وقصور تصوراتنا. فما ينفصل من ناحية يتصل بعدة نواحى، وما ينقطع الشىء فى طور إلا ليدخل فى أطوار. فالليل ينجلى عنا (مؤقتا) ليدخل على غيرنا، والشمس تغرب فى نظرنا وهى تشرق على غيرنا، وهكذا يتواصل سفر الليل والنهار بلا انقطاع إلا فى تصوراتنا.

هذا مايحدث بين العوالم، تحولات متواصلة وتفاعلات تُنتج الآيات، لاشىء يُخزن معطلا؛ فالتخزين المعطل وسيلة العاجز عن سرعة تدبير الشىء فى حينه، والتحولات مستمرة فى كل مفردات الوجود حتى فيما نحسبه راكدا أو خامدا. وأيضا لاشىء يستبعد من الوجود أو يُنفى ؛ لأن الاستبعاد معناه أن هذا الشىء قد وُجد عبثا أو بسبب سوء التقدير أو عن عجز فى السيطرة – وتعالى الخلاق العليم عن ذلك علوا كبيرا.

إذن فالعوالم كلها متصلة (جهرا وخفية) فى تكامل محكم وتوافق يُمجّد ويسبح الخلاق العليم. لكل جزء من أجزاء الذرة أدوار يؤديها

– بين العوالم – بأمر خالقه. وحين يموت الإنسان – مثلا – تنتقل الروح إلى عالم مختلف، لها فيه مكان مُعد وتتعامل بترتيبات مقدرة، أما مكونات الجسد الميت فتدخل فورا فى تحولات مادية نعرف الكثير عنها، وما خفى هو أكثر وأكثر. ونفس الشىء بالنسبة للنبات والحيوان والجماد، فنواتج الذّرة تدخل فى ذرة أخرى، أو تتحد الذرات لتكون جزيئات أو مركبات وطاقات، والمركبات تعود فتتفكك لتدخل فى تكوينات جديدة وكل ذلك لتأدية وظائف مُقدرة فى علم الله (تعالى) وإن تمت بيد أو بفعل بعض الخلائق المسخرة. حتى الصوت والضوء وماشابه ذلك كلها تحولات متواصلة ولها تأثيراتها التى نستشعرها والتى لانستشعرها. وفى تصوراتنا قد يرى بعض التواصلات تسرع والبعض الآخر يسير ببطء، ومن يتفكر فمن الممكن أن يدرك الحكمة، أو يصحح تصوراته، أو يكون الأمر أكبر من طاقة عقله.

والكوكب الأرضى الذى نعيش عليه ومعظم تصرفاتنا وأفعالنا – هدما وبناء – تتم على أساس أن الأرض ساكنة، بينما هى تسبح متحركة بعدة سرعات وتتفاعل وتتواصل مع مفردات مُلك ربها، ونحن على ظهرها نحسب أننا فى حالة سكون أحيانا أو نخطو أحيانا أخرى – تلك تصوراتنا – رغم أن نومنا سفر متواصل فى الزمان والمكان والأحوال.

# مغادرة الدنيا

المغادر هو المنتقل من دار إلى دار ،أو من عالم إلى عالم، وهو المتحول من طور إلى طور ..... وهذه المغادرة مقدرة علينا وعلى غيرنا من المخلوقات، مغادرة كُلية نهائية إجبارية، من العوالم التى كنا نعرفها ونلمسها ونألفها، ويركن الناس إليها، ونأنس بالأحباب فيها، إلى عوالم لانعرف إلا بعض أخبارها، والبعض يتشكك فى تلك الأخبار، وليس من سمع وتشكك كمن رأى وجرب.

المغادر هو أنا وأنت وهو وهى، الكل مغادر، والأمر جد خطير، وعزاؤنا يكمن فى ثقتنا فى عفو الرحيم، وكرم الكريم، الذى بشر ووعد، وهو القادر على الوفاء وزيادة، رب الآخرة والأولى، رب العالمين، تبارك وتعالى.

الله خلقنا – بقدرته – ممن غادروا ورحلوا قبلنا، ويخلق منا من سيعيشون بعد أن نرحل، كما رحل السابقون إلى عالم آخر غير عالمنا. فللحياة عالم وللموت عالم مغاير. لكننا لانعرف إلا القليل عن علاقة الموت بالحياة. نعرف طرفا من أهداب البرزخ والحدود الغامضة بين الموت والحياة، وبين الحياة والموت.

العلاقة بين الموت (العدم) والحياة (أثناء الخلق)، والحضور من عالم الغيب، تبدو محاطة بشيء من الغموض ولكنها – والحمد لله – ملموسة الأهداب ويمكن ترقبها في الحمل والولادة، وهي مأمونة العاقبة؛ لأنه لاحساب عليها، بل هي منحة خالصة من كرم الكريم. لكن العلاقة بين الحياة (الأولى) والموت هي البالغة الخطورة والأهمية؛ فيليها مجاهيل عجيبة وعليها حساب دقيق، ولها مابعدها، ومأدراك ما بعدها. إنه عالم الغيب والأعاجيب والقدرات الهائلة والضبط الصارم.

وتوقيت المغادرة مغيب عن جميع الخلائق، وقد تكون له مقدمات غير مؤكدة، وقد يأتي فجأة، وفي كل الأحوال لا يقبل التأجيل ولو للحظة، لذلك يلزم الاستعداد الدائم، وتجهيز كل ما يلزم؛ لأن الأمر القوي يكون كلمح بالبصر.

# الوصية

الوصية عموما هي نوع من الترتيب لأعمال مستقبلية يتعذر على المُوصي ممارستها بنفسه أو الإشراف على تنفيذها بسبب غيابه المتوقع قريبا. والوصية معروفة ومألوفة بالنسبة للحي المسافر سفرا طويلا أو حتى قريبا، كالسفر للعمل أو طلب الرزق أو الجهاد في سبيل الله (تعالى)، فالإنسان يوصي من يأتمنه؛ ليتولى رعاية أهله ومتابعة بعض أموره ومصالحة إلى أن يعود.

اما الوصية الشرعية فهناك من يرى أنها مطلوبة – فى الإسلام – على سبيل الوجوب لقول ربنا تبارك وتعالى: ﴿كُتب عليكُم إذا حضر احدكُم المـوْتُ إن ترك خيرا الوَصيَّةُ للوالدين والأقربين بالمعرُوف حقا على المُتَّقين (١٨٠) – البقرة﴾.

وبما أن الموت يمكن أن يحضر فى أى وقت فيجب المبادرة بكتابة الوصية حتى بالنسبة للأصحاء؛ لقول رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فى حديث ابن عمر (رضى الله تعالى عنهما) الذى رواه الجماعة: "ما حق امرىء مسلم يبيت ليلتين وله شىء يريد ان يوصى فيه إلا ووصيته مكتوبة عند رأسه".

ومشروعية الوصية فيها رحمة من الله (تعالى) بعبده؛ لكى يتدارك ويصوب بعض ما فرط منه، أو لتأدية ماعليه من حقوق تحاه الغير ، ان لم يتمكن من تأديتها بنفسه قبل موته، أو للتوصية بخير لم يتمكن العبد من فعله أو إكماله – بسبب حلول علامات انتهاء الأجل – راجيا بذلك الخير انتظار حسنات تصل إليه فى قبره.

# إلى عالم الغيب

نحن الآن نعيش فى عالم الشهادة، ومقبلون جميعا – عاجلا أو آجلا – على عالم الغيب الواسع – سعة السماوات – والملىء بالأعاجيب. والإقبال على المجهول يستلزم – من العاقل – شدة الحذر، وجمع

أنفع مايمكن من المعلومات بخصوص ذلك المجهول القادم إلينا، "والكيس الفطن من دان نفسه وعمل لما بعد الموت".

لما بعد الموت!!!

فى عالم الغيب لا نعرف إلا ربنا الرحمن الرحيم، ولا سند لنا سواه، وكفى به مؤنسا ونصيرا. ولكن بسبب الجهل والبعد عن رحاب طاعة الله، أصبح لفظ الموت غير مرغوب، وكثيرا مايهرب من ذكره الكُتاب والمتحدثون، وهذا هو أسلوب النعامة حين تحاول إخفاء رأسها فى الرمال، أو هى طريقة السذج فى الاختباء وراء الوهم. وسلوك المؤمن يكون غير ذلك، فهو مع الله، ولايخشى إلا الله، ولايطمئن ولا يأمن إلا بالله (تعالى). ومن المؤكد فى فكر كل من المؤمن والكافر أن نصيبنا من هذه الدنيا بالغ الوضوح، فهو المدة الزمنية التى بين لحظة الولادة حتى لحظة مغادرة الروح للجسد. لاشىء لنا قبل هذه الفترة ولا بعدها، فبالموت ينتهى كل شىء بالنسبة لنا، فبعد الموت لايؤثر فينا انطلاق البركان ولا فيضان الطوفان.

وأهم ما يشغل العاقل هو الاستعداد لاستقبال الموت بصالح الأعمال. وفى صحيح الحديث الشريف المروى عن طريق أنس وابن عمر وأبى هريرة (رضى الله عنهم) يقول صلى الله عليه وسلم: "أكثروا من ذكر هادم اللذات: الموت". تذكروا لكى تستعدوا .... ولا تركنوا إلى الأرض.

ولايجوز تمنى الموت لأن فى ذلك يأس من رحمة الله - فى الدنيا. وفى الحديث الصحيح الذى يرويه أبو هريرة (رضى الله عنه)، يقول

صلى الله عليه وسلم: "لا يتمنى أحدكم الموت، إما ان يكون محسناً، فلعله يزداد ، وإما مسيئا فلعله يستعتب".

بالتذكر يبدأ التفكير فى حسن الاستعداد، وبسبب النسيان والغفلة تذهلنا المفاجأة، فيدخل الإنسان – بلا استعداد – فيما كان يجهل.

# الموت والحياة

يتميز دين الإسلام بالوضوح الشديد فى عرض الأمور على العقول والأفهام، فنجد المعانى والمعالم واضحة لكل عاقل، خصوصا فيما يتعلق بأمور الغيب. فالتوضيح نجده جليا بالنسبة لمفهوم الدين، وعظمة وتفرد مرتبة الألوهية، ونقاء التوحيد، وشمولية الربوبية، ومعنى النبوة، وغاية الرسالة السماوية، وكيفية الوحى، والتمييز الجلى بين قول الله تعالى وبين قول الرسول (صلى الله عليه وسلم)، واجتهادات المجتهدين، وأقول الدعاة، وقول عموم البشر ، وحقيقة الأبوة والأمومة والأنساب، والمحرمات، وتمييز الحق من الباطل، والخبيث من الطيب، وتمييز المَلَك من الشيطان، والمعجزة الحقيقية من الأسطورة والخرافة، وتوضيح معنى التكليف، وغاية العبادة، وحكمة الثواب والعقاب، وأخيرا معنى الحياة ومعنى الموت.

هذا التميز الإسلامى يتجلى ساطعا – للعاقل والمنصف والمتفكر – عند عقد المقارنات بين الإسلام وأى دين آخر مما تموج به الساحة من

بقايا ديانات، ومن أباطيل، لا جدوى من الخوض فيها؛ فالوقت أغلى من أن نضيعه فى ذلك.

نعود لموضوع الموت، فهناك موتان وحياتان نمر بهما جميعا، ودليل ذلك هو قول ربنا - عز وجل - وهو يوجز قضية الدين والحياة كاملة: ﴿كيفَ تكفُرُون بِاللهِ وكُنتُم أمواتاً فَأحيَاكُم ثُمَّ يُمِيتُكُم ثُم يُحيِيكُم ثُمَّ إليهِ تُرجَعُون (٢٨) - البقرة﴾، الحلقات مميزة بنور ربها:

موات - حياة أولى - مـــــوت - حيـــاة آخرة.

فى البداية كُنا جميعا فى العدم (حالة موات) فأتى بنا علم الله - تبارك وتعالى - من عالم الغيب عنده، وها نحن الآن فى حيتنا الأولى (الدنيا)، عالم الشهادة، ومقبلون - بتأكيد ١٠٠٪ ولا يقبل الجدال - على الموت الثانى الذى يختلف تماما عن الموت الأول (حالة العدم). والموت الثانى يليه الحياة الآخرة التى تختلف كل الاختلاف عن الحياة الأولى. ولذلك فالموت فى المفهوم الإسلامى يعنى الخروج من عالم الشهادة إلى عالم الغيب.

تلك هى التحولات الكبرى المقدرة فى تاريخ الإنسان، والموت فى العقيدة الإسلامية هو تحول كبير ، لكنه لايعنى الفناء ولا الانقطاع عن الوجود، بل يعنى الانتقال إلى طور سماوى غيبى.

وعموما حين يُذكر لفظ الموت فالمقصود به الموت المقبل (الثانى) الذى يلية الحياة الآخرة. ولذلك فمن حسن الفطنة والكياسة أن ننظر وندقق فيما نحن مقبلون عليه، بلا أدنى شك.

# توقيت المغادرة

بخصوص دقة توقيت مغادرتنا للدنيا، يقول ربنا (جل وعلا) وقوله الحق: ﴿..... فَإِذا جَآءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأخِرُون سَاعَةً وَلا يَستَقْدَمُونَ الآية (٦١) -النحل﴾. هذا هو القول الفصل، كل شىء مُعد ومنضبط وله ميقات محدد تماما وسلفا، لايمكن تقديمه ولا تأخيره ولو للحظة. وكل العوالم المعنية تعرف دورها الدقيق فى تتبع مؤشر ذلك التوقيت الصارم، حتى الانتحار وأسبابه ووسائلة هو جزء من آلية الانضباط الخفى مع هذا التوقيت الحاسم. وأيضا الجراثيم والمرض والطب والحرارة والبرودة والكوارث... وغيرها،كلها مسخر ات كأسنان التروس الدائرة فى ساعة ذلك التوقيت المحدد والداخل فى توقيتات أخرى أشد خفاء وانضباطا.

وتنفيذ الأمر لايحتاج للبحث عن الفرد الذى جاءت ساعته، من علم الغيب؛ لأن ذلك الفرد مراقب لحظة بلحظة، ومحفوظ منذ مولده، فلا حاجة للمخبرين السريين ولا المتابعة البوليسية ولا لتجهيز كمائن؛ فأفراد البوليس الدنيوى أنفسهم مراقبون من علٍ، وكم رأينا الراصد يموت قبل المرصود؛ والمعتدى يغادر الدنيا قبل المُعتدَى عليه؛

والسبب الحقيقى هو أن مؤشرات الأجل غيبية، ﴿.... وما تدرى نفْسٌ مَاذا تكسبُ غداً ..... الآية (٣٤) - لقمان﴾.

فعلى العاقل أن يفهم الحكمة من تغييب موعد المغادرة، فلا ينسى أن اسمه ورسمه مسجل فى كتاب المنون، من قبل أن يولد، فليكن دوما مستعدا بما يناسب جلال الموقف، وهول ما بعده.

ويُروى عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (رضى الله تعالى عنه) أنه كان يقول: "اللهم إنى أعوذ بك أن تأخذنى على غرة، أو تذرنى فى غفلة، أو تجعلنى من الغافلين". هكذا يكون المؤمن الموقن بلقاء ربه تعالى....

# مكان المغادرة

المقدر فى علم العليم الحكيم لابد وأن يتم بمنتهى الإحكام فى كل شىء، فلا شىء يُغفل أو يسقط من الحساب. فمكان المغادرة ومَصعد الروح إلى بارئها محدد من قبل أن تُخلق، ولكنه مغيب عنا رحمة بنا ﴿.... وما تَدرِى نَفْسٌ بِأى أرْضٍ تَمُوتُ .... الآية (٣٤) - لقمان﴾. فقبيل الموت وحين تقترب ساعة الرحيل - المقدرة فى علم العليم - يتوجه ابن آدم (المطلوب) بإرادته واختياره هو، أو بقرار منه، أو بنصيحة ممن يتولى أمره - فى ذلك الوقت - من أقاربه أو معارفه (إن كان عاجزا) أو بواسطة ممن يُكتب له المشاركة فى المشهد المهيب، وهو لايدرى، ينتقل ابن آدم - فى قدر القدير - إلى المكان الذى سبق

تحديده في العلم المسبق في سجل المنون، والمدون بوضوح في الأمر (التنفيذي) الذي يحمله ملك الموت.

وفي صحيح الحديث الشريف، الذي أخرجه الإمام الترمذي، عن أبي عزة (رضي الله عنه) عن رسول رب العالمين (صلى الله عليه وسلم)، أنه قال: " إذا قضى الله تعالى لعبد أن يموت بأرض، جعل الله له إليها حاجة".

جعل الله له إليها حاجة، والحاجات شتى: جهاد في سبيل الله، طلب علم، صلة رحم، رحلة ترفيهية، ملهى، ارتكاب جريمة، طلب شهوة، أخذ رشوة، زيارة مريض، طلب رزق، تمهيد طريق، تجارة، طلب علاج، رعاية مسكين، عدوان على بريء، غرس نبتة، إطاعة ظالم، سهرة ماجنة، تأدية فريضة.....إلخ.

وكم رأينا من يسافر إلى الخارج بسبب ظاهري كطلب العلاج - وهو سفر مشروع - ولكن السبب الخفي هو أن الأمر الصادر، لملك الموت، مُحدد فيه أن قبض روح فلان في الساعة المحددة، سيكون في الغرفة رقم كذا، بمستشفى كذا بلندن أو باريس أو واشنطن - مثلا.

ذلك مثال للسفر المشروع (العلاج)، فمابالك بمن يسافر لقبض رشوة سرية، أو المشاركة في مؤامرة خيانة للدين أو الوطن، أو شراء واستيراد أغذية فاسدة تفتك بصحة الأبرياء، أو تنظيم شركات للتجارة في الرذيلة عابرة القارات (عافانا الله وإياكم)، وهو لايدري أن ملك الموت على موعده الغيبي معه هناك، ﴿يَاأَيُّهَا الإنسانُ إنَّكَ كَادحٌ إلى رَبِّكَ

كدحا فملاقيه (٦) الانشقاق﴾ وعلى العاقل أن يتفكر: من يدبر الأمر في الحقيقة!

ولا يجوز لملك الموت - وليس من شأنه - أن يساهم في نقل فلان للمكان المحدد؛ فهناك، من الخلائق، من هو مسخر لذلك وهو لايدري. فقط على الملك أن يتواجد في المكان المحدد. أما من سيُحضر الشخص المطلوب، فلذلك ترتيب علوي، ينفذه من يحسبون أنهم أصحاب سلطات وامكانات وقدرات وصلاحيات على ظهر الارض، وهم في الحقيقة مسخرون وخصوصا في مثل هذه اللحظات القدرية.

# حقيقة الموت

في ضوء ماسبق نجتهد في إيجاز معنى الموت بالنسبة للبشر كالتالي: الموت هو انتقال النفس (رحيلها) من نهاية الحياة الأولى(الدنيا) إلى بداية الحياة الآخرة، أو من عالم الشهادة إلى عالم الغيب، وهو قدر حتمي، على الإنسان وعلى جميع الكائنات. بالموت تغادر النفس البشرية كل الماديات التي كانت ترتبط بها، وأولها الجسد الذي كانت تسكنه، ثم البيت الذي كانت تالفه بما فيه من أحباب وخلان وسلطان وهيلمان وخدم وحشم .... إلخ

الموت سفر طويل إجباري انفرادي، لامفر منه. ويُروى عن أبي هريرة (رضي الله عنه) ، أنه حين حضرته الوفاة دمعت عيناه، فقال له بعض من كان حوله: أتجزع من الموت ياصاحب رسول الله؟! قال: "لا

أبكى على دنياكم، ولكن على قلة الزاد وطول السفر"، و ﴿خير الزاد التقوى﴾، إن كان أبوهريرة قليل الزاد، فما حجم زاد الغافلين!

نعم حقيقة الموت أنه بداية سفر طويل، نعبر به من عوالم الدنيا إلى عوالم الآخرة. ولكن هذا الإيجاز قد لايناسب خطورة القضية المتعلقة بأهم اللحظات فى حياة الإنسان، ويعتبر إجابة غير شافية على السؤال الكبير والهام جداً: ماهو الموت؟

الإجابة على هذا السؤال الخطير تستحق التفصيل، والتفصيل إلى أدق درجة ممكنة، والمقصود هنا هو الموت الثانى (وهو الأخير)، لذلك سنقسمه – فى سياق التحليل والتدقيق– إلى ثلاث مراحل، برغم قصر مدته الزمنية فى ظاهر التوقيت الشائع بيننا:

(١) قُبيل الموت.

(٢) سكرات الموت.

(٣) بُعيد الموت.

وفيما يلى نستعرض ونفصل هذه المراحل الثلاث، بقدر مايتيسر، وفى ضوء أنوار الإسلام.

# قبيل الموت

قبيل الموت يقصد به – هنا – الساعة (اللحظات) الأخيرة من الحياة الأولى (الدنيا)، مشهد مهيب يُعد وينفذ بواسطة المسخرات المأمورة بمشيئة القدر. حينئذ يعجز الأقارب والأحباب والشفعاء والأطباء، الكل

يعجز عن فعل شيء؛ فلا تحويل للقدر، ويشعر المقبل على الموت بذلك ، فيرى من العلامات مالم يشهده من قبل، ويرى الأهداب الخفية تتدلى من عوالم الغيب، ولا يبقى إلا الأمل فى وجه الله – تبارك وتعالى – بالنسبة للصالحين والأبرار. ويُروى عن أبى بكر الصديق (رضى الله تعالى عنه) أن الناس قد عادوه فى مرض موته، فقالوا : ألا ندعو لك الطبيب؟ قال: قد رآنى. قالوا: فماذا قال لك؟ قال: قال (إنى فعال لما أريد).

وللأبرار يروى أنس ابن مالك فى الحديث الصحيح عن نبى الله – صلى الله عليه وسلم: " إذا أراد الله بعبد خيرا استعمله، قيل: كيف يستعمله؟ قال: يوفقه لعمل صالح قبل الموت ثم يقبضه عليه". وهذا هو الفوز المبين، حسن الخاتمة، أهم مايشغل كل مؤمن.

وذكر أبو نعيم فى الحلية – بسنده – أن رجلا دخل على حُذيفة بن اليمان (رضى الله تعالى عنه) فى مرضه الذى مات فيه، فقال (حذيفة)، مناجيا الرحمن الرحيم،: "لولا أنى أرى أن أن هذا اليوم آخر يوم من الدنيا وأول يوم من الآخرة لم أتكلم به، اللهم إنك تعلم أنى كنت أحب الفقر على الغنى، وأحب الذلة على العز، وأحب الموت على الحياة، حبيب جاء على فاقة لا أفلح من ندم. ثم مات".

بهذه الكلمات ودع حُذيفة بن اليمان الدنيا. تلك نماذج من أحوال بعض الصحابة وهم على حافة الدنيا يودعون مافيها، إلى لقاء الحبيب.

والحال الفيزيائى للإنسان قبيل الموت يتوقف على سبب الموت، مرض، انتحار، حادث، شيخوخة، قتل، حريق، غرق ..... إلخ. وفى

الغالب تكون من علامات النهاية أن يصاب الإنسان بمرض يسمى مرض الموت. وكثيرا ما يكون بلاء المرض نعمة تزول بسببها غشاوات الجهل، فيدرك الإنسان خطورة ماهو مقدم عليه فيراجع نفسه ويصحح موقفه ما أمكن، استعدادا لما هو مقبل عليه.

وفي جميع الحالات، فحين يجد الجد، يتمدد الزمن لدى المقبل على الموت (أو الخطر) وتتحول اللحظة إلى دهر؛ ليرى المقبل بعض المشاهد التي لايراها غيره. ويرى تارخ حياته يجرى حيا – في عقله – بكل أحداثه وأعماله، سيئاته وحسناته، وساعتها لاجدوى من الندم. وقد عاش هذه الحالة كل من مر بما حسبه الموت المحقق ولكنه نجا، كمن سقط من علو ، أو تعرض للغرق المحقق.

وأحيانا يشعر المحتضر --خصوصا المؤمن – بآلام يصعب وصفها. وقد أخرج الإمام أحمد عن عبد الله بن مسعود (رضى الله عنه) قال: " دخلت على النبي (صلى الله عليه وسلم) وهو يوعك فمسسته، فقلت: يارسول الله إنك لتوعك (تتألم) وعكا شديدا. قال: أجل! إني أُوعك كما يُوعك الرجلان منكم. قلت: إن لك أجرين. قال:نعم! والذي نفسي بيده ما على الأرض مسلمٌ يصيبه أذى من مرض فما سواه إلا حط الله عنه خطاياه كما تحط الشجرة ورقها". أخرجه البخارى ومسلم من طرق متعددة.

وقد أخرج البخارى ومسلم عن أمنا عائشة (رضى الله عنها) قولها: "ما رأيت الوجع على أحد أشد منه على رسول الله صلى الله عليه وسلم". وتصف الصديقة (رضى الله عنها) صعوبة الموت ونزع الروح من

الجسد، فتقول، كما أخرج البخارى فى الحديث الصحيح: "....، فلا أكره شدة الموت لأحد بعد النبى – صلى الله عليه وسلم". ويروى أن السيدة فاطمة الزهراء (رضى الله عنها) حين رأت أبيها وهو مقدم على الموت قالت وا كرب أبتاه، فقال لها (صلى الله عليه وسلم)، كما جاء فى صحيح البخارى عن أنس (رضى الله عنه): "ليس على أبيك كرب بعد اليوم".

طبت وطاب مثواك يارسول الله.

تلك ساعة التطهير النهائى للمؤمن قبيل لقاء عظيم السماوات والأرض. ويكون الإيمان هو المرتكز الوحيد للإنسان فى مثل هذه الحالة، فالإيمان يفتح أبواب الأمل فى عفو الله ورحمته.

وقد ذكر أبو نعيم فى الحلية بخصوص وفاة الإمام الجنيد بن محمد، عن أبى بكر العطار يقول: حضرت الجنيد عند الموت فى جماعة من أصحابنا، وكان قاعدا يصلى ويثنى رجله إذا أراد أن يسجد، فلم يزل كذلك حتى خرجت الروح من رجله فثقلت عليه حركتها، فمد رجليه فرآه بعض أصدقائه ممن حضر ذلك الوقت، يقال له البسامى، وكانت رجلا أبا القاسم (الجنيد) تورمتا فقال: ماهذا يا أبا القاسم؟ قال هذه نعم الله، الله أكبر. فلما فرغ من صلاته قال له أبو محمد الجريرى: يا أبا القاسم لو اضطجعت. فقال: يا أبا محمد هذا وقت منة الله، الله أكبر. فلم يزل ذلك حاله حتى مات رحمه الله. أ.هـ

فى اللحظات الأخيرة ومع اشتداد الألم ويضيق الخُلق، ويروى أن واحدا ممن أسرفوا على أنفسهم – فى عصرنا – وبسبب انحرافه علق به

مرض "الإيدز" من إحدى الساقطات (فى تايلاند). عاد لبلده واشتد عليه المرض فطلب مصحفا، ففرح أهله وهم يحسبون أنه قد عزم على التوبة الصادقة قبل أن يغرغر، فإذا به يمسك المصحف ويعلن كفره به؛ احتجاجا على ما به من ألم. ثم ما لبث أن قُبض على كفره. وهناك حالات لأفراد تناولوا السموم أو طعنوا أنفسهم للتخلص من الآلام ظنا منهم أن ذلك سيريحهم، ولكن حقيقة الأمر أنه قد ﴿حق القول عليهم﴾، وهذا هو الختام المناسب للتاريخ الأسود لصاحب القلب الأعمى. ومن عاش على شيء مات عليه، وتلك هى البشائر للفاسقين، ﴿ولايظلم ربك أحدا﴾.

وقد ثبت في سنن النسائى وفى مستدرك الحاكم، أن نبى الله (صلى الله عليه وسلم) كان يدعو ، ضمن مايدعو، ويقول: ".... وأعوذ بك أن يتخبطنى الشيطان عند الموت ....". فالضعف الجسمانى والعقلى للإنسان عند الموت قد يُمكّن الشيطان من خداع بعض البشر فى هذه اللحظات الحرجة، فتكون سوء الخاتمة والعياذ بالله.

وفى المقابل نرى النموذج المبشر بالجنة، فيُروى أن بلال بن رباح (رضى الله عنه)، حين حضرته الوفاة، سمع زوجته تقول: واحزناه، فقال لها: "لاتقولى ذلك، بل قولى وافرحاه، غداً ألقى الأحبة محمداً وصحبه". فالمؤمن يفرح عند الموت؛ لأنه يرى المبشرات، ولأن الموت يقرب الحبيب من حبيبه الحقيقى.

ومن زماننا فأعرف أكثر من مثال ولكن سأكتفى هنا بذكر مثال الداعية (ف. أ.) الذى لا أزكيه على الله، وكان صابرا على جملة أمراض

لايعرفها إلا أقرب الناس إليه؛ بحكم المعاشرة. وأذكر أنى قد حضرت له درسا بالمسجد عقب صلاة العشاء فى ليلة شتاء ، وكان موضوع الدرس هو تلقين الشهادة للمحتضر. ومرت الأيام بعد ذلك وتوفى هذا الداعية - بعد حوالى عام - بينما كنت فى سفر. وحين ذهبت أعزى أهله، بعد عودتى، دفعنى الفضول لمعرفة حاله عند الموت، أى ماذا فعل المُعلم؛ كيف طبق ماعلمنا؟

ويحكى ولده فيقول: قرب منتصف الليل كنت معه فى المستشفى وشعرت أنه قد سكر فظننت أن ذلك بسبب الدخول فى النوم، أو بسبب تاثير الدواء، وفى محاولتى لإحكام الغطاء عليه، شعرت بالبرودة الشديدة لقدميه، وشعر هو بوجودى فسألنى: من أنت؛ قلت له: أنا فلان؛ قال: فلان من؛ قلت: إبنك؛ قال: يابنى اننى أموت، ماذا اقول، أقول إيه؛ قلت له قل: لا إله إلا الله. فقالها مرة والثانية وحاول فى الثالثة ولست متاكدا إن كان أكملها ام لا. ولم يتكلم بعد ذلك، وبعد قليل انقطع النفس وتدلى الفك السفلى، فعرفت أنه قد مات. ا.هـ..

# سكرات الموت

من شدة الآلام عندئذ يضيق الخُلق إلا من رحم ربى. وبسبب تلك الآلام وضيق الخلق يفتن الكثيرون فى هذه اللحظات الحرجة، كما ذكرنا قبلا. واحيانا من شدة الحمى يدخل المحتضر فى طور "هلوسة"، ويهذى وقد رُفع عنه القلم حينئذ. والبعض يدخل فى

غيبوبة قد يفيق منها مؤقتا وقد لايفيق. وفى صحيح الحديث الذى أخرجه البخارى وأحمد، تروى أمنا عائشة (رضى الله عنها) قول حبيبها (صلى الله عليه وسلم)فى مثل هذه اللحظات: " لا إله إلا الله، إن للموت لسكرات".

وأخرج الإمام أحمد عن أمنا (الصديقة بنت الصديق رضى الله تعالى عنهما) قالت: "رأيت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وهو يموت وعنده قدح فيه ماء فيدخل يده فى القدح ثم يمسح وجهه بالماء ثم يقول: اللهم أعنى على سكرات الموت". لا إله إلا الله.

على طول العمر يكون للإنسان حفظة من الملائكة ﴿وَإِنَّ عَلَيكُم لَحَافِظِينَ (١٠) كِرَاماً كَاتِبِينَ (١١) يَعلَمُون مَاتَفعَلون (١٢) - الانفطار﴾، إلى أن ينتهى الأجل المحدد والمحسوم، ﴿هُو القَاهِرُ فَوقَ عِبَادِهِ وَيُرسِلُ عَلَيكُم حَفَظَةً حَتَّى إذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ المَوتُ تَوَفَتهُ رُسُلُنَا وَهُم لا يُفرَطُونَ (٦١) - الأنعام﴾. إذا جاء الموت وحضر ملائكته فقد إنتهى دور الحفظة، ترفع الأقلام لتطوى الصحف الأساسية وتحفظ بما فيها. لقد آن أوان الرحيل .... الحتمى.... والدخول فى عالم الصمت الرهيب، والعيون تدور .... هنا بداية الجد، لامجال للهزل ولا للجدال، ولا للفلسفة، و﴿لا ينفع مال ولا بنون﴾.

لا مجال للتجريب ولا للحاسبات ولا للمراقبات الإلكترونية، الأشياء والأحوال تتبدل بصرامة استعدادا للدخول فى عالم الغيب، كل شىء مُعد على أكمل وجه وبأيدى مخلوقات قوية هم قمة فى الانضباط.

ثم ماذا بعد؟!

الامر طلسم على الكافرين.....؛ بسبب كفرهم وإعراضهم.

لكن يبقى هناك مصدران - لدى أهل الإيمان - للإجابة على هذا السؤال البالغ الأهمية:

(١) المصدر النورانى الذى يكشف الظلمات، ألا وهو وحى السماء لأهل الأرض. المصدر المتصل بعلام الغيوب.

(٢) والمصدر الآخر (الثانوى) هو تدبر أحوال من سبقونا فى عبور الحد الفاصل بين الحياة والموت، أى تأمل أحوالهم ساعة العبور، فى لحظة كشف الغطاء، وزوال الغشاوات، وبروز قدر من اليقين على أعتاب عوالم الغيب. وكما يقال فالمقدمات تدل على النتائج. . . . ... . ترى ماذا يرون؟

اللهم إنى أرجوك لذلك اليوم.

المصدر الأوثق (هدى ربنا) وهو بالغ الكرم فى تكرار التوضيح والتذكير والتنبيه. والمساحة المتاحة فى هذا الكتاب لاتسمح بعرض كل ماجاء فى هدى السماء بهذا الخصوص؛ فعرض الأمر يحتاج إلى كتب وكتب، لذلك سنكتفى هنا بما نحسب أنه يكفى لتحقيق الغرض إلى حين.

إنه بداية طويل سفر بلا عودة ؟! نعم سفر بلاعودة. سفر السعادة للصالحين، وسفر الشقاء للظالمين، فيه الحقائق الكبرى تتكتف.

﴿حتَّى إذَا جَاء أحَدَهُمُ المَوتُ قَالَ ربِّ ارجعُون (٩٩) لَعَلى أعمَلُ صَالحاً فيمَا تركتُ كلا إنَّها كلِمَةٌ هُو قَائِلُهَا وَمِن ورَائهِم بَرزَخٌ إلَى يَومِ

يُبعثُون (١٠٠) - المؤمنون﴾. كلا لارجعة، ولاعودة. انتهى زمن الابتلاء وبدأت اجراءات تلقى الجزاء، منذ هذه اللحظات.

وهناك طمأنة صريحة ووعد صادق لأولياء الرحمن، وأيضا هناك وعيد صارم لأولياء الشيطان وقد أعذر من أنذر.

لمثل هذه اللحظات، يقول ربنا - جل وعلا: ﴿ألا إن أولِيَاءَ الله لاخَوفٌ عَلَيهِم وَلاهُم يَحزَنُونَ (٦٢) الّذِينَءَامَنُوا وكَانُوا يَتقُونَ (٦٣) لَهُمُ البُشرَى فِي الحَيَاةِ الدّنيَا وَفِي الآخِرَةِ لا تَبدِيلَ لِكَلِمَات الله ذَلِكَ هُوَ الفَوزُ العَظِمُ (٦٤) - يونس﴾. الصالحون من عباد الله يُبشرون وهم أحياء فى هذه الدنيا (لهم البشرى قبل الرحيل)، يبشرون بالأمن التام وبأنهم فى رعاية العزيز الرحيم، وأنهم من أهل الجنة، ولذلك تراهم فى أخريات أيامهم يتصرفون عجبا، يتورعون تقربا إلى الله (تعالى)، يزهدون فى زخارف الدنيا، يتسامحون بلا حدود، يمشون على الأرض هونا، وإذا مروا باللغو مروا كراما، قلوبهم تعلقت بربها (تعالى)، لايقلقون ولايجزعون، لايحزنون بقدومهم على الموت، بل يفرحون للقاء ربهم ويحبون لقاءه، ولقاء الصالحين من عباده فى دار الخلود السعيد.

الآن يقترب المحتضر من بوابة مغادرة الحياة الدنيا نهائيا، البوابة تستقبل الآلاف يوميا لرحلة إجبارية بلا عودة. كُلنا مُنظمون فى صفوف متصلة منذ الولادة حتى هذه البوابة، وساعة دخولنا إليها محددة من قبل أن نولد، والاستعدادات كاملة. المداخل (الأسباب) مصنفة - فى فهمنا - حسب أسباب الموت: مداخل الأمرض، الحوادث، القتل،

الانتحار، الغرق، خطأ الطبيب، الصدمة العصبية ..... إلخ. ولكن كل المداخل توصل لنفس البوابة الكبرى.

على مداخل بوابة الرحيل، وفى ساحة الاستقبال الخارجية، تتدرج برودة عملية الانفصال والفراق، مع انسحاب الروح لتفارق الجسد الذى كانت ترتبط به، تنسحب من أسفل الجسم إلى أعلاه، أى من القدمين حتى الحلقوم. النفَس يكاد يتلاشى، "وكأنه يخرج من ثقب إبرة" على حد تعبير عمرو بن اللعاص (رضى الله عنه) وقوله لولده عما يشعر به وهو يعانى مثل هذه اللحظات.

على المداخل ينهار أداء الشبكات العصبية، يصعب - علىّ العقل - تكوين الجملة ذات المعنى، كما كان يفعل من قبل، لذلك يجب مساعدته بتلقينه الشهادة، لأنه قد لايستطيع تجميع كلماتها بمفردة، حتى ولو كان فيما مضى خطيبا مفوها.

البناء يتهاوى وينهار، حتى لو تم تشغيل معدات التنفس الصناعى وخراطيم المحاليل ومنظمات النبض، فبداية من ساحة هذه البوابة أجهزة الجسم التى كانت تطحن وتهضم وتفرز وتمتص وتحرق، تصبح عندئذ مجرد فلتر (ترشيح) بين خراطيم الأجهزة الطبية وبين مخارج الجسم التى فقدت التحكم وتتعثر فى تأدية الوظائف التى طالما أدتها، ومع الحشرجة ينتفض من الجسم الأجزاء التى بقى فيه حياة. وبعد قليل سترفض العروق استقبال ماكانت تستقبله من سوائل الحقن، ويبْيَض ماكان أحمرا، ثم يصفر. ﴿بلغت التراق﴾ وبلغ الاضطراب مداه

بالأهل والأطباء ﴿والتفت الساق بالساق، إلى ربك يومئذ المساق﴾، تلجلج اللسان..... عجز اللسان ....

وتروى أمنا أم سلمة (رضى الله عنها) فتصف وتقول: " كان عامة وصية رسول الله (صلى الله عليه وسلم ) عند موته: الصلاة وما ملكت أيمانكم حتى جعل يلجلجها (أى ينطقها بصعوبة) فى صدره وما يفيض بها لسانه".

وقد أخرج الإمام أحمد عن أسامة بن زيد (حِب النبى وابن حبه رضى الله عنهما)، قال: "لما ثقل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) هبطت وهبط الناس معى إلى المدينة، فدخلت على رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، وقد أصمت فلا يتكلم فجعل يرفع يديه إلى السماء ثم يصوبها علّى وجهه أعرف أنه يدعو لى".

تعطلت لغة الكلام ..... طِبت يارسول الله.

قبيل مغادرة الروح للجسد يثقل اللسان ويعجز عن النطق، وتتعطل وظائف الجوارح حين يحضر ملك الموت ومن معه من الملائكة الكرام، والمحتضر يراهم لكنه لايستطيع أن يحدثنا عنهم؛ فقد انتهت مهمة اللسان. الموقف يتهيأ لعالم مختلف ليتعامل بلغة مختلفة تماما، لا يعرفها الأحياء، لغة غير دنيوية، لغة بلا لسان ولا أصوات. ولكن علام الغيوب يتفضل علينا بأعز المعلومات المتعلقة بأحرج موقف، إذ يقول عن ذلك: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ (٣٠) نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ (٣١) نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ (٣٢) - فصلت﴾. هذه

الآيات الكريمات تنير للمؤمن الطريق – من الآن – ليعرف ماسيلاقيه وهو يتنقل بين العوالم، عوالم الماضي والحاضر والمستقبل.

على حافة الدنيا تتنزل الملائكة الكرام على المؤمن، لانعرف الكيفية الآن؛ لأنها غيب، ولكن سنعرفها – بإذن الله تعالى – حينئذ. الملائكة تقول – بلغتها – للمؤمن المحتضر ما معناه: لا تخف فقد أرسلنا الله (تعالى) لنكون معك ونؤنسك، فأنت مقبل على خير عظيم، أبشر بعالم السعادة الذي ينتظرك.

بعد أن يطمئن المؤمن على نفسه يتذكر أهله وعياله الذين مازالوا في دنيا الابتلاء وما فيها مخاطر فيحزن اشفاقا عليهم، فتطمئنه الملائكة بأنهم مكلفون برعايتهم وسيحوطونهم بالرعاية ﴿نَحنُ أولِيآؤُكُمْ فِي الحَياةِ الدُّنيَا وَفِي الآخِرَةِ﴾، فيزول عن المؤمن الهم والحزن، كما زال الخوف من قبل.

والأهم من ذلك هوى البشرى العظمى من أهل الصدق، فتقول الملائكة للمؤمنين : ﴿وَأبشِرُوا بَالجَنَّةِ التِي كُنتُم تُوعَدُونَ﴾، نحن معكم لن نترككم حتى تدخلوا جنة الخلد، ﴿وَلَكُم فِيهَا مَا تَشتَهِي أنفُسَكُم وَلَكُم فِيهَا مَاتَدَّعُونَ﴾ كل مايخطر ببالكم من خير وفوق ماتتصورون من نعيم تجدونه حاضرا. منازلكم في الجنة أعدها لكم ربكم العزيز الذي يغفر لكم ذنوبكم ويرحمكم ﴿نُزُلا مِنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾.

نعود لنتأمل حال الجسد، حيث الريق يكاد يجف والجدران الداخلية للفم تلتصق بسبب ارتفاع اللزوجة، الحلق يُحشرج وقدرة التحريك تتلاشى، ولايستطيع المحتضر أن يطلب الماء لمقاومة الجفاف، وإن

أُعطى لـه المـاء فـى فمه فلايستطيع البلع؛ فقد انقطع الرزق، لذلك فيسيل المـاء علـى جـانبى الفم ولا يُبلع، لقد تم الدخـول فـى مرحلـة الغرغرة. الملك يمد يده فى فم المحتضر يجذب الروح من أسفل إلى أعلى حيث يبلغ الكرب منتهاه. المحتضر ينظر إلى وجه ملك الموت – وهـو بشارة – بأحسن صـورة أو أقبحها، علـى حسب عمل العبد فيمـا مضى من دنياه.

حضر المـوت، لم تعد تنفع التوبـة، ولا حتـى بـالقلب ﴿وَلَيْسـتِ التَّوْبَـةُ لِلَّذين يَعْملُون السَّيِّئاتِ حَتَّى إِذَا حَضَـرَ أَحَدهُمُ المَوْتُ قَـال إِنِّـى تُبْـتُ الآن ... الآية (١٨) – النسـاء﴾، لقد كـانت بـوادر الشيب إنذارات كافيـة، وحضور الجنائز، والمرور بالمقابر، كلها كـانت مُذكِرات كافية، وكـانت فترات المرض فرصا ذهبية للتوبة الصادقة، ولتصحيح ما فات، لكـن طول الأمل وصحبة السوء وغواية الشيطان يلبّسون الأمر على الناس.

وبعد رؤية ملك الموت لا معنى للدخول فى الإيمان ﴿.... لا يَنْفَعُ نَفْساً إِيمانُهَا لم تَكُـنْ ءَامَنَـتْ مِـنْ قَبْلُ أو كَسَبتْ فِـى إِيمانِهَا خَيْرا .... الآية (١٥٨) – الأنعـام﴾. الإيمـان يكـون بـالغيب، وليـس بعـد كشـف الغطـاء والمشاهدات المذهلة.

﴿حقّ القَولُ﴾، وجسد المحتضر على الفراش المنظـور، لأهله وأحبابه وللأطباء مـن حوله، لكن روحه وبصره مع عـالم آخر جاد شفاف غير منظور، لاتلكؤ ولا وساطة ولا فداء ولا مماطلة.

هناك مجالات وطاقـات غير مرئية، ولا نعرف حقيقتها، ولكـن لها بعض الآثار الحسية العجيبة. فالروح مثلا، كان العلماء يظنـون – فـى المـاضى

– أنهم يستطيعون حساب وزنها، فقاموا بوضع المحتضر على ميزان دقيق وراقبوه، فوجدوا أن وزن المحتضر قد زاد بعد الوفاة ، بعكس ماكانوا يظنون، فما هى حقيقة الروح؟ ﴿قُل الرُوح مِن أمر ربى﴾.

# بُعيد الموت

الجسد الذى كان حيا عاد جمادا، كما كان أول مرة، لا قيام إلا إلى الحشر. والنفس دخلت فى عالم الغيب. وعند مغادرة الروح للجسد تتجلى مقدمات التكريم للنفس الطيبة فيقال لها: ﴿يَاأَيَّتُهَا النَّفْسُ المُطْمَئِنَّةُ (٢٧) ارجِعِى إلى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً (٢٨) فادْخُلى فى عبَادِى (٢٩) وادْخُلِى جَنَّتِى (٣٠) – الفجر﴾، لايسمع ذلك النداء إلا من أتى عليه الدور للدخول لساحة الحجب المكشوفة، من لايستطيع العودة.

وفى سورة الواقعة يبدأ الوصف المبين فى تفصيل المشهد المهيب، للدخول من بوابة الرحيل، إلى السفر الطويل، هذا هو الحق المبين، لمن يعقل.

كما يوضح العليم الخبير، يصير البشر إلى ثلاثة أزواج (فرق):

(١) السابقون (المقربون).

(٢) أصحاب اليمين.

(٣) أصحاب الشمال.

وفى العرض المبين يتبدى الكرم الإلهى - بالفضل والرحمة - فى أحرج اللحظات فى تاريخ (قصة) الإنسان ورحلته الأبدية: هناك مدخلان منيران للمُكرمين، ومُدخل أسود للمحرومين.

العليم الخبير يعرض المشهد العصيب، يعرضه من قمة شدته، بدءا من الحلقوم، ﴿فَلَوْلا إِذَا بَلَغَت الحُلقُومَ (٨٣) - الواقعة﴾، عندئذ تتعطل الإرادة ويخرس اللسان وتنسحب الأسباب وتستقيل الجوارح، ترتخى كل العضلات، يتدلى الفك السفلى للفم الذى طالما تشدق بما يليق وبما لايليق، يتوقف النفس الذى طالما لهث وراء السراب. طُويت صحائف الأعمال الأساسية، فقد فرغ الحفظة مما كُلفوا به بخصوص هذا الإنسان فى دنياه، والروح غادرت آخر جزء فى الجسد لتنطلق مودعة عالم الحياة الدّنيا إلى عالم مختلف تماما، عالم لامادى، وهو غير الذى عهدناه ونفكر بمقتضاه.

طاقم آخر من الملائكة يتولى الأمر بعدما تبدل الحال، الروح أُرغمت على ترك الطين (الجسد) يعود إلى التراب ليدخل فى دورات طينية جديدة. هذه الجُثة كانت مستعارة من طين الأرض وهاهى تُقدّم للدود والبكتريا. أما ماكان من الرتب والنياشين والأوسمة وشهادات التقدير والفاخر من الثياب وما شابه ذلك فيتمسك بها المخدوعون من الأقارب والأحفاد إلى أن يملوها فى يوم ما فيتخلصوا منها غير مأسوف عليها. ولايبقى مع الروح غير سجل الأعمال الذى سيقدم بحالته للحساب، يوم الحساب الدقيق، بمثقال الذرة، فى يوم طويل وشاق

على العصاة والكافرين، وهو نفسه اليوم الظليل على من يظلهم العزيز بظله، يوم لا ظل إلا ظله.

ويتبقى بعد الموت صحائف آثار (ملحقات) الأعمال، كالصدقة الجارية والعلم الذى ينتفع به ودعاء الصالحين من الأهل والمعارف، لذلك تظل ملحقات الصحائف مفتوحة إلى قيام الساعة لتسقبل الآثار، تلك الصحائف يعلمها ربنا سلفا وهى داخلة فى الحساب.

انتقلت الروح إلى عالم مختلف تماما تخلصت من الكتل الطينية (الجسد)، جثة باردة لاحراك فيها، كانت مسكنا وموطنا للنفس التى ذهبت، لتبدأ فى تلقى الجزاء، وليفعل أهل الأرض مايفعلون بالجثة، من غُسل وتكفين وطقوس ودفن، قضى الأمر.

بدلالة مافى الصحف التى فى علم الله، تساق النفس فورا - بأمر من ربها - إلى مفترق طرق لارجعة فيه، إلى مدخل من ثلاثة:

(١) ﴿فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ (٨٨) فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ (٨٩) - الواقعة﴾.

(٢) ﴿وَأَمَّا إِن كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ (٩٠) فَسَلَامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ (٩١) - الواقعة﴾

(٣) ﴿ وَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ (٩٢) فَنُزُلٌ مِّن حَمِيمٍ (٩٣) وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ (٩٤) إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ (٩٥) - الواقعة﴾.

هذا كلام وحُكم العزيز الحكيم، قضى الأمر ولامعقب لحكمه، والنتائج تعلن فورا: فروحٌ وريحانٌ ....، فَسلامٌ لَّكَ ....، فنُزُلٌ مِن حَميمٍ ....

وتفسيرا لذلك فقد صح فى الحديث الشريف، الذى أخرجه الإمام النسائى فى السنن والحاكم فى المستدرك، عن أبى هريرة (رضى الله عنه) قول المصطفى (صلى الله عليه وسلم): "إذا حُضر المؤمن أتته ملائكة الرحمة بحريرة بيضاء، فيقولون اخرجى راضية مرضيا عنك إلى روح وريحان ورب غير غضبان، فيخرج كأطيب ريح المسك، حتى إنه ليناوله بعضهم بعضا، حتى يأتوا به باب السماء، فيقولون: ماأطيب هذا الريح التى جاءتكم من الأرض! فيأتون به أرواح المؤمنين، فلهم أشد فرحا به من أحدكم بغائبه يقدم عليه، فيسألونه: ماذا فعل فلان؟ فإذا قال أما أتاكم؟ قالوا: ذُهب به إلى أمه الهاوية. وإن الكافر إذا حُضر أتته ملائكة العذاب بمسح، فيقولون: اخرجى ساخطة مسخوطا عليك، إلى عذاب الله فيخرج كأنتن ريح جيفة حتى يأتوا بها باب الأرض فيقولون: ماأنتن هذه الريح؟ حتى يأتوا بها أرواح الكفار.

كلٌ يُذهب به إلى مايليق به، وليس كما كان الناس ينظرون إليه فى الدنيا، فالصورة فى الدنيا كانت مشوهة بالغشاوات والمخادعات، فكانت الجيف هى التى تطفو على السطح، بينما المعادن الثمينة مغمورة. وقد صح فى الحديث الذى أخرجه الإمام مسلم وغيره عن أبى هريرة (رضى الله عنه) كما أخرجه الطبرانى والحاكم عن سلمان (رضى الله عنه) قول من لاينطق عن الهوى (صلى الله عليه وسلم):"الدنيا سجن المؤمن، وجنة الكافر". ويروى فى توضيح هذا الحديث أن الإمام الحسن بن على (رضى الله عنهما) مر برجل كافر، وتحسر الكافر لِما رآه من بهاء الحسن، ودار بينهما حوار كالتالى:

الكافر: ألستم تقولون: الدنيا سجن المؤمن، وجنة الكافر؟

الحسن: بلى.

الكافر: كيف ذلك وأنت فيما أنت فيه من نعيم الآن؟ وأنا فيما أنا فيه من ضنك؟

الحسن: لو رأيت مافى الجنة من نعيم، لعلمت أن ماأنا فيه الآن يعد سجنا. ولو رأيت مافى النار من عذاب لعلمة أنك الآن فى جنة.

# الروح والريحان

بالموت تنتقل نفوس المقربين من دار الابتلاء والمجاهدات إلى دار النعيم المقيم، حيث يلتقى الحبيب بأعز حبيب، وحيث تتحول لهفة الشوق إلى رَوْح (راحة عظمى) يزيل آثار ما تعرضتم له من متاعب فى الدنيا التى ذهبت عنكم. الشوق الآن مازال يضنى الحور العين اللائى ينتظرنكم فى الغرفات، فى قصور القصب واللؤلؤ.

النفس المقربة تُستقبل على الأبواب بالورود والرياحين التى أعدها العلى القدير لأحبابه المقربين الذين باعوا أنفسهم لجلاله وذابوا فى حبه وتشكلوا وفقا لطاعته، فبذلوا أعز مايملكون فى سبيل رضاه. كانت قلوبهم معلقة ببيوته فى الأرض وألسنتهم تلهج بذكره وتحميده وتسبيحه وتكبيره. ياأيها الصفوة، أنتم الآن على أبواب عالم السعادة العظمى، ﴿... فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِم مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَآءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقاً﴾ الآية (٦٩) -

النساء﴾. هذا النعيم المُعد من صنع القوى العليم. أبشروا بيسر الحساب؛ لأن من سيحاسبكم هو الحبيب، وهل يقسو الحبيب على حبيبه، [أبشروا بالجنة التى كنتم توعدون]، عند الحساب سيعلن قبول أحسن ماعملتم فى دنياكم، وسيتم التجاوز عن سيئاتكم. إنها ستستر ولن تعلن.

أبشروا فالحساب بالنسبة لكم يقصد به تكريمكم وسط الخلائق وعلى رؤس الأشهاد، وإكرامكم فى حضرة ذى الجلال والإكرام، أنتم ستكونون النجوم الساطعة فى سماء ذلك اليوم المشهود.

# أهلُ السلام

﴿فَسَلَامٌ لَّكَ مِن أَصحَابِ اليَمِينِ﴾ بالموت تدخل النفوس الطيبة إلى أعتاب دار السلام. والسلام من أسماء العزيز الكريم، وحين يُذكر هذا الاسم العظيم يزول الخوف وتطمئن النفس. والملائكة الكرام يؤنسون النفس الطيبة مبشرين وقائلين: "سَلَامٌ لَّك مِن أَصحَابِ اليَمِين". ياأيتها النفس الطيبة هذا العالم الجديد عليك هو عالم السلام والأمان، فيه أحبابك الطيبون الذين سيتسلمون كتابهم بيمينهم.

أبشروا بالنجاة من العذاب فأنتم فى حماية السلام (تبارك وتعالى)، ألا ترون السلام يعم الأرجاء، هل رأيتم أى سوء منذ أن حضرتم إلى هنا! لاكرب بعد اليوم، كل ماينتظركم خير، تلك هى الحياة الحقيقية

﴿الحيوان﴾، فيها السعادة الأبدية. هذه الأنوار التى تتلألأ برزت من عالم الغيب تُرحب بحضورك يا صاحب اليمين.

# تصلية الجحيم

بئس الخاتمة، خاتمة الفسقة والظالمين. النفس الخبيثة تُخرج فتُريح المجتمع والجسد الذى تحمل طغيانها وفسادها لسنوات وسنوات، وهى تلهث وراء الشيطان، مُعرضة عن ذكر الرحمن - تبارك وتعالى. هاهى تُرغم وتُخرج مما كانت فيه - غير مأسوف عليها - من زخارف الدنيا لتُستقبل بصفع الوجه الصفيق وضرب دبر البليد، إنها إهانة يعجز القلم عن وصف كيفيتها، وفى قول ربنا (تعالى) ما يغنى عن وصف كيفية استقبال الملائكة لهم: ﴿فَكَيفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ المَلائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ (٢٧) - محمد﴾. ذُق يامن كنت مغرورا وتتكبر فى الدنيا [بغير الحق]، وكانت الطرق تُفرش لك بالورود وتهتف لك الحناجر المأمورة والمأجورة بأموال المظاليم، وأنت تصعر خدك للناس، وفيهم من هم أكرم على الله (تعالى) من أمثالك. هذا البؤس الذى تُرى مقدماته هو بداية عالم جديد يغلى بفوران الجحيم المُعد لك ولأمثالك، [لا مرحبا بكم إنكم صالوا النار]، فبئس القرار. هذه الريح النتنة طرح أعمال المجرمين، وهذا الظلام المرعب لمن رفض رسالة النور التى جاء بها رسول رب العالمين. هذه هى المقدمات التى تدل على مابعدها.

حبطت كل الأعمال التى كانت لغير وجه الله (تعالى)، صارت سرابا.

# عالم البرزخ

المقصود بالبرزخ – هنا – هو المساحة المحصورة بين حياة (عوالم) الدنيا وبين حياة (عوالم)الآخرة، ومثال ذلك هو القبر، أو حال الموات، ولذلك فالبرزخ يفصل بين عوالم الشهادة من ناحية وبين وعوالم الغيب من الناحية الأخرى. واتصال عالم البرزخ بعالم الغيب هو اتصال غيبى (لا مادى). ومن الناحية المعنوية، يمكن اعتبار البرزخ هو الحال فى القبر لمن تم دفنه، أو ماشابه ذلك لمن تم حرقه أو أكلته السباع والطيور أو الأسماك فى البحر، تلك بقايا الدنيا تعود للدنيا، كما جاءت. أما نفس المتوفى فقد ذهبت فى طريق اللارجعة.

يبدأ عالم البرزخ – زمانيا – بالنسبة للإنسان من بعد طلوع الروح (خروج النفس) وينتهى بقيام الساعة. هذا بمقاييسنا المعتادة، أما المقاييس الزمنية فى عالم البرزخ فهى ليست واضحة؛ لأنها بالنسبة لنا غيب، وقد سبق أن بينا كيف يتغير الزمن بالنسبة للمقبل على الموت، ولا نعرف كيفية تغير الزمن بعد الموت، الموت أول منازل الآخرة، العالم المختلف تماما عما ألفنا وتعودنا.

ولافرق فى عالم البرزخ بين الموت – من حيث الأسباب – فالموت هو الموت، هو إعلان بمغادرة نهائية للحياة الدنيا، بغض النظر عن

ظاهر السبب. وبعد الموت (أى فى عالم البرزخ) يستوى الدفن فى قبر من الطين أو الحجر مع الدفن فى تابوت من الذهب، ويستوى من أكلته السباع والطيور ومن أكلته أسماك البحار؛ فقد انتهى عالم الخداع المادى، وانتهى دور الجسد الطينى الذى جُعل كوسيلة ابتلاء مؤقتة. ذهب الأهل والأحباب، والميت يسمع طرق نعالهم لكن بينه وبينهم برزخ شديد الإحكام. زال الجاه والسلطان والنياشين والتيجان والهيلمان ..... ذهب المال للورثة، وبقى حسابه على من جمعه.

فى عالم ما بعد الموت، حين يصل الإنسان إلى هذا العالم يرى عجبا!!! بالموت تبدلت النواميس، وتبدلت الأسباب التى كنا نعرفها ونركن إليها، زالت الغشاوات، رُفعت الحُجب، المادة كانت وهما ، أو رفيقا تخلى، الجبال كانت سرابا، الدنيا كانت حُلما، والأمر فى جملته تكشف للكافرين أنه كان ﴿.... كسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَآءً حَتَّى إِذَا جَآءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللهَ عِنْدَهُ فَوَفَاهُ حِسَابَهُ ..... الآية (٣٩) - النور﴾. التحولات بالغة السرعة، خاطفة، حاسمة، فاز من فاز، وخاب من خاب. نعيم أو عذاب، جنة أو نار.

الآن عالم بلاجسد ولامادة ولا غشاوات، إنما تبين للإنسان معنى النفس والروح والعقل، ولاينفع الندم. نحن الآن أمام عالم اللامادة، وما كان غيبا أصبح الآن مشهودا.

هذا المقعد (المَنزل) أحاط به علم الله (تعالى) سلفا، بناء على ماسيقدم الإنسان فى حياته وتأثيراته بعد مماته، كل شىء يُكتب

مفصلا، ﴿إنّا نحنُ نُحيِ المَوتى وَنَكتُب مَاقَدَمُوا وَءاثَارَهُم وَكُلَ شَيءٍ أحصَينَاه فِي إمامٍ مُبِينٍ (١٢) - يس﴾. وقد صح في الحديث الشريف الذى رواه أبوهريرة (رضى الله عنه) وأخرجه الإمام مسلم وبعض أصحاب السنن، والبخارى فى الأدب المفرد: " إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له". ولا ينال هذه الأعمال إلا الصالحون؛ أما الطالحون فلهم عكسها.

# الاستجواب

الاستجواب يكون فى المحبس الانفرادى الشديد الظلمة على المجرمين، فتُملأ النفس حزنا والقلب هلعا، ويبرز الملكان فى صورة مفزعة وسط الظلمة، يناديان الشقى وبأمر ربهما تُرد إليه روحه ويُجلسانه وضيق القبر يعصر الشقى عصرا، ومن مات حرقا أو غرقا أو أكلته السباع يبدله الله حواسا بدلا من حواسه ليذوق بها العذاب، ويتأكد مما سبق أن بُشر الشقى به فى لحظات الاحتضار ﴿فَنُزُلٌ مِن حَمِيمٍ ....﴾، تدور عينيه من الفزع ويوقن بالهلاك المتجدد. ينادى الملكان بصوت مفزع يسألان ... ويسالان فى أصول الإيمان.... والشقى يتشكك ويتلعثم ولايستطيع الإجابة، لم يعد يملك جوارحه، ولقد كان يكذب ويتبجح بها فى الدنيا ويراوغ ويجادل، أما الآن فلا يستطيع ....

ينشق القبر وتبرز جهنم بأمر ربها .... هذا هو مقر الشقى ومصيره الأبدى.... أين المفر!! بالعدل هذا جزاء الظالمين.

أما قبر المؤمن فيتلألأ نورا ويفيض نعيما، فيطير القلب فرحا وسرورا فى حيز سعته مد البصر ، فى كل اتجاه، مُعطر بأطيب ريح. يحضر الملكان فى أبهى صورة تبعث فى النفس السعادة وتؤكد النعيم الذى سبق التبشير به ساعة الاحتضار، فتقر العين وتطمئن النفس فتوقن بالنجاة والفوز المبين. الملكن يسألان بمودة [فيثبت الله الذين ءامنوا بالقول الثابت]، ينطلق اللسان فتكون الإجابة يقينية مُفرحة: الله ربى فلان الرسول أرسله الله إلينا بالهدى والنور ..... .....، فتهب ريح الجنة وتتبدى محاسنها ومافيها من الحور العين. بالفضل هذا ما وعد الرحمن الرحيم... وهذا من فيض الكريم.

# الموت والنوم

نحن لاندرك كل حقيقة العوالم المحيطة بنا، ولا نثق كثيرا فى اكتمال صحة تصوراتنا، وخصوصا حين نتأمل الحديث الذى ذكرناه قبلا : "الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا". فى هذا الحديث يوضح لنا معلم البشرية (صلى الله عليه وسلم) أن الأمور المادية التى تبهرنا فى دنيانا ماهى إلا أوهام طارئة ماأسرع أن تزول، وبعد ذلك نجد الحقيقة، شىء مختلف تماما! فما أشبه الموت بالنوم! وفى محكم التنزيل يقول الحق (تبارك وتعالى): ﴿اللهُ يَتَوَفَّى الأنفُس حِينَ مَوْتِها والَّتِى لمْ

تمُتْ فِى منَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِى قَضَى عَلَيْهَا المَوت وَيُرسِلُ الأخْرَى إلى أجل مُسَمًّى إنَّ فِى ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوم يَتَفَكَّرُونَ (٤٢) - الزمر﴾. وهذا تأكيد علوى على أن الدنيا وما فيها مما نلهث وراءه ليست الا سرابا بقيعة (لايمكن الإمساك به)، وعند الموت نعرف أن ماكنا نجرى وراءه قد تبخر، كان شيئا شبيها بما يراه النائم، وهو لايشعر أنه نائم!!

النائم يرى عشرات الأحلام فى الليلة الواحدة، وكلها موهومة فى عقله، لكنه يسعد بها أو يشقى، يتنعم أو يعذب. وحين يكون النعيم فى الحلم ممتعا ففى نهاية الحلم كنا نتمنى أن يطول، أما حين يكون الحلم شقاء مفزعا فنحمد الله أنه قد أخرجنا منه بالاستيقاظ. وباستحْضار التشابه بين حال النوم وحال الموت نستطيع أن نفهم كيف يتحقق نعيم القبر أو عذابه.

وقد جاء فى الحديث الحسن الذى أخرجه الترمذى وابن ماجة والحاكم عن أمير المؤمنين، عثمان بن عفان (رضى الله عنه) قول الصادق المعصوم (صلى الله عليه وسلم): "إن القبر أول منازل الآخرة، فإن نجا منه، فما بعده أيسر منه، وإن لم ينج منه، فمابعده أشد منه".

# نعيم القبر وعذابه

هذا ما ينكره المجرمون، ولسوف يرون حقيقة ماينكرون. والقول القرآنى العظيم يتجلى كحقيقة ساطعة للأعين العمى والآذان الصم والقلوب الغلف، ﴿النَّارُ يُعرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تقُومُ السَّاعَةُ

أَدْخِلُوا ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ (٤٦) - غافر﴾. وآل فرعون هم أبرز مثال لأهل الكفر والطغيان فى كل زمان ومكان. عرض الكفار على النار يتم صباحا ومساء إلى أن يرث الله (تعالى) الأرض ومن عليها.

وقد أخرج الطبرانى فى الكبير عن أم خالد بنت خالد بن سعيد بن العاص، قول النبى (صلى الله عليه وسلم ) فى الحديث الصحيح: "استجيروا بالله من عذاب القبر فإن عذاب القبر حق".

وقد صح فى الحديث الشريف المتفق عليه عن ابن عمر (رضى الله عنهما) قول الهادى البشير (صلى الله عليه وسلم): "إذا مات أحدكم عُرض عليه مقعده بالغداة والعشى، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، يقال له: هذا مقعدك حتى يبعثك الله إليه يوم القيامة".

هذا هو العذاب المضاعف للمجرمين ، يرى كل منهم بشاعة منزله فى جهنم صباحا ومساء يتقلب فى حفرة من حفر النار حتى تقوم الساعة، وهو لايعرف متى تقوم، ويترقب الفزع فى كل لحظة ولا يعرف عن الزمن شيئا ولا يُفرّق بين الصباح والمساء بسبب شدة الظلمة، ولأن النار هى هى فى كل عرض، وما ينتظره أسوأ مماهو فيه.

أما المؤمن التقى فيغمره النور وتؤنسه الملائكة ويتنعم، فى روضة من رياض الجنة، يراها صباحا ومساء،حتى قيام الساعة.

# العالم الآخر

هنا العالم الآخر (عالم الغيب)، كل شيء مختلف تمام الاختلاف عما ألفناه من عوالم، وهو خارج نطاق تصورات البشر، فقد أُعيد تشكيل الوجود، ولا يوجد فى عقولنا بخصوص ذلك العالم (الآخر) إلا الأسماء، والتى نحتاج لأن نتعرف عليها من البداية، مرة أخرى، وذلك كما عرّف الله (تعالى) أبينا آدم الأسماء كلها حين أنزله من الجنة إلى الأرض؛ فالطبيعة مختلفة، والأشياء مغايرة، والمحددات تحركت، والمغيبات برزت.

ولذلك فكل المعلومات وأخبار الأحداث التى بنى عليها هذا الفصل مستمدة بالكامل من أنوار الهدى الإسلامى (التعليم الإلهى)، مما جاء به الصادق الأمين (خاتم المرسلين ،صلى الله عليه وسلم)، وهى كلها من أنباء الغيب، من وحى الله لرسوله، وفيها مايكفى للفهم التبصيرى، ولا مجال فيها للتجريب، ولا الاستشعار، ولا التخمين، ولا النظريات، ولا الإضافات البحثية، ولا الفلسفات ....إلخ.

ليس بعد ما أوضحه ربنا (تعالى) توضيح، وأقصى مايقدمه المؤلف هنا هو التامل، وترتيب مافهمه من بعض الآيات القرآنية والأحاديث

النبويةالصحيحة وشروحاتها، مما نحسبه تيسيرا قد يفيد المُقل من القراءات الإسلامية، أو الغافل عن أخطر قضايا العالمين. وهذا النور الإسلامي لابديل له ولا نظير.

هى حقا الدار الآخرة، وليست الثانية؛ لأنه ليس بعدها ثالثة. وهى الدار الحقيقية، وما قبلها كانت مقدمات مراحل تنقضى واحدة بعد التى سبقتها، وكنا مجازا نعدها حياة؛ بسبب ما بها من تحولات، وليس بسبب مُتعها؛ لأنها لا تدوم ولاتخلو من المنغصات.
أما الدار الآخرة ففيها الحياة الحقيقية، ﴿.... وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لهى الحيوان لَو كَانُوا يَعْلَمُونَ الآية (٦٤) - العنكبوت﴾.

كانت الخلائق كلها فى عالم البرزخ، فدعاهم ربهم (تعالى) للقيام للحساب، فإذا هم يخرجون، ﴿.... ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الأَرْضِ إِذَآ أَنْتُمْ تُخْرَجُونَ الآية (٢٥) - الروم﴾.

حان ميعاد الإعلان الأبدى العظيم: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لايُرِيدُونَ عُلُوّاً فِى الأَرْضِ وَلا فَسَاداً وَالعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (٨٣) - القصص﴾، تلك دار القرار ، المحطة الأخيرة الممتدة إلى ما شاء الله، دار النعيم المقيم، مطلب العقلاء وأولى الأبصار، الذين سُعدوا ووُعِدوا، والذين كانوا يضعونها نصب أعينهم، لايتكاسلون عن السعى إليها فى حياتهم

الدنيا، ويبذلون لها النفس والمال، أعد الله فيها للمتقين مالا عين ولا أذن سمعت ولاخطر على قلب بشر.

ويقول الكريم – جل وعلا:

﴿لَهُم مَّايَشَاؤُنَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ (٣٥) – ق﴾.

تلك الدار – المغيبة عنا حاليا – لن تُرى حقيقتها المؤكدة إلا ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتِ .... الآية (٤٨) – إبراهيم﴾.

عندئذ يرى الناس عجبا:

(١) إما الجنة بدرجاتها التى يتعذر وصف نعيمها،

(٢) وإما النار بدركها، والتى لاتوصف أهوالها،

ولا ثالث لهما، هذا هو الحسم والفصل الأعظم.

وقد روى عن ابن عباس (رضى الله تعالى عنهما) قوله: "لايوجد فى الدنيا من الآخرة إلا الأسماء".

هذا بيان شديد الإيجاز لمدى التفاوت بين الآخرة والأولى.

الدنيا دار تكليف وابتلاء، والآخرة هى دار الجزاء.

هذا هو الفرق العظيم.

# النفخة الأولى

من مات فقد قامت قيامته(حضرت ساعته)، فيبقى فى عالم البرزخ حتى قيام الساعة، أما من يأتى متأخرا فى الزمان، ويبقى إلى قيام الساعة، فسيموت مع من يموتون بالصعق، ﴿كل نفس ذائقة الموت﴾.
الساعة أمرها عظيم ،ولذلك فتوقيتها لا يعلمه مَلَك مقرب، ولا نبى مرسل ولا ولى مُخلص، ولايعلمه إلا الله (تعالى).

للساعة علامات صغرى علّمها لنا معلم البشرية – صلى الله عليه وسلم – ولكنها علامات نسبية الطول، نعيش بعضها الآن، وعَلّمَنا أيضا أن للساعة علامات كبرى، حين تبرز فجأة، فهى القارعة التى ستقرع الوجود كله، فلا تنفع فيها توبة، ولا الوعى يستدراك؛ فالهول عظيم ..... وتطوى الصحف على ما فيها من أعمال وأخبار.

والتفاصيل – الكافية بهذا الخصوص – متاحة فى مصادر العلوم الإسلامية، وخصوصا فى كتاب الله وفى كتب الأحاديث الشريفة – لمن أراد أن يستعد للساعة، أو لساعته هو.

الأمر بالغ الهول والفزع على الجميع إلا من شاء الله (تعالى). يتعذر على المخلوق وصف هول الأمر؛ لأنه لم يسبق له رؤيته، ولا وصف فى الوجود يدانى وصف العليم الخبير إذ يقول:

﴿.... إنَّ زَلزَلَةَ السَّاعَةِ شَىءٌ عَظِيمٌ (١) يوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعةٍ عَمآ أرْضعتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُم بسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَاب اللهِ شَدِيدٌ (٢) - الحج ﴾. لا إله إلا أنت سبحانك، الأمر جد عظيم.

التقم صاحب القرن القرن؛ لينفخ فيه، والأرض جميعا (كل الأراضى) تسبح فى قبضة ربها القوى العزيز ....أرجاء الوجود تتزلزل.... الأفلاك ترتعد .... اتجاهات الحركة والدوران ... تنعكس! .... تنقلب ! .... القوى هائلة ... أشياء تبرز ..... أشياء تختفى!، ﴿.... فَفَزِعَ من فِى السَّمَاوَاتِ وَالأرْضِ إلا مَن شَآءَ اللهُ ..... الآية (٨٧) - النمل﴾.

النواميس تتبدل، ﴿وَحُمِلتِ الأرضُ وَالجِبَالُ فَدُكَتَا دكّةَ وَاحِدةَ (١٤) فَيَومَئذٍ وَقَعَتِ الوَاقِعَة (١٥) الحاقة﴾ ..... سبحانك ..... سبحانك...

صدر الأمر الأعظم: ﴿وَنُفِخَ فِى الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى السَّمَاوَاتِ وَالأرْضِ إلا من شَآءَ اللهُ ..... الآية (٦٨) - الزمر﴾، تلك هى النفخة الأولى، ﴿... صيحةَ واحدةَ ...﴾.

الأمر رهيب، الأحداث تتتابع ..... ، عظمة القدرة تتجلى ... السماء تنفطر ... الكواكب انتثرت... النجوم انكدرت .... البحار فُجرت ... الجبال سُيرت! ، كالعهن المنفوش؟ .... ثم صارت سرابا ..... السماوات طويت بيمين الجبار (تعالى) ، بعدما ظلت تتمدد لبلايين السنين ... ها هى تتضاءل وتطوى طائعة مسرعة!!!

لمن الملك اليوم؟

لا مخلوق يجيب ... الصمت الرهيب... الكل فى غيب عالم الغيب ..! نُزع المُلك من جبابرة الأرض ..... العزيز الأعلى لم يزل أزليا كما كان واحدا منفردا، وبعظمته وجلاله يجيب:

لله الواحد القهار.

# البعث والحشر

بعد خمود وتبدل كل شىء، لا حركة ولا حس، القوى 'لعزيز يأمر المنادى بالنفخ فى الصور، لنفخة الأخرى، نفخة البعث والإحياء (الثانى) لكل الخلائق والعوالم حتى عوالم الجماد النبات

والميكروبات والحيوان والجان و.... ﴿.... ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخرَى فَإِذَا هُم قِيامٌ يَنظُرُون - الآية (٦٨) - الزمر﴾.

الكل يبعث كما كان؛ ﴿... مِن الأجدَاثِ إلى رَبِّهِم يَنسِلُون - الآية (٥١) - يس﴾، للشهادة والحساب والقصاص، وكل ذلك على الله (تعالى) يسير.

ذلك يوم الخروج ... تنشق الأرض ....تُبعثر القبور ..... يخرج الناس أشتاتا، "حفاة عراة غرلا، كما ولدتهم أمهاتهم" كما جاء فى الحديث الصحيح للصادق الأمين - صلى الله عليه وسلم.

خرجوا ليُروا أعمالهم .... ذلك يوم العرض على الله (تعالى) فى اليوم المشهود. وتعجز الصياغات البشرية عن وصف الأحوال والأهوال فى ذلك اليوم الذى لم نره بعد، لكننا نسترشد بالكلمات الربانية فى تقريب الفهم إلى العقول.

القبور بعثرت، تعود كل روح إلى جسدها الهيكلى، تشقق الأرض عنهم، فتخرج الخلائق من الأجداث سراعا،كأنهم جراد منتشر، ملبين أمر ربهم، إلى عالم كان غيبا ولم يشهدوه من قبل، لكنه سبق الإخبار به والتحذير من أهواله أيام كان هناك خيار، ﴿إنا أنذرناكم عذابا قريبا﴾، وها هو اليوم المشهود، إنه يوم تبدل فيه الأرض غير الأرض

والسماوات، وجميع العباد برروا لله الواحد القهار. ذلك اليوم الحق ﴿لمثل هذا فليعمل العاملون﴾.

في ذلك الموقف يقول الكافرون والمجرمون ومن على شاكلتهم: ﴿... ياويلنا من بعثنا من مرقدنا ... الآية (٥٢) - يس﴾. ﴿وَيَوْمَ القِيَامَةِ تَرَى الَّذين كَذَبُوا عَلى اللهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ .... الآية (٦٠) - الزمر﴾

وجيء بالشياطين مصفدين في الأغلال وبالجبابرة والكذبة، جاءوا مكبلين حفاة عراة، يساقون وهم أذل الخلائق، وأقبلت الوحوش والطيور والدواب، لايسمع إلا تحسس الخطى المرتعشة وهمس الريح في الأجساد المنهارة، فقد سلبت منها الإرادة.
﴿وَأَشْرَقَتِ الأرضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيينَ وَالشُّهَدَآء .... الآية (٦٩) - الزمر﴾، هذا هو النور الحقيقي، هذا أصل كل الأنوار، المشهد في غاية الوضوح، المبلغون عن ربهم (الأنبياء) والشهداء حضور للشهادة والمواجهة على الملأ، [ووضع الميزان] أمام الحكم العدل، الكل سيسأل، فالكل بين عبيد وعباد.

ذلك يوم النشور، اليوم العظيم، يوم يقوم الناس لرب العالمين. الآن قد علمت كل نفس ما قدمت وأخرت، وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد، [ووجدوا ماعملوا حاضرا]. وخشعت الأصوات للرحمن فلا

تسمع إلا همس الارتعاش والذهول، [وعنت الوجوه للحى القيوم فلا تسمع إلا همسا].

وفى وصف أهوال الموقف، أخرج البخارى ومسلم والنسائى وابن ماجه، عن امنا عائشة (رضى الله تعالى عنها)، قالت: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم ) يقول: "يحشر الناس حفاة عراة غُرلا. فقلت: الرجال والنساء جميعا ينظر بعضهم إلى بعض؟! قال: الأمر أشد من أن يهمهم ذلك". ﴿يَوْمَ يفِرُّ المَرْءُ مِنْ أخِيهِ (٣٤) وأُمِّهِ وَأبِيهِ (٣٥) وصَاحِبَتِه وبنيه (٣٦) لكُلِّ امْرىءٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأنٌ يُغْنِيهِ (٣٧) عبس﴾. فى الموقف ﴿كُل نفس بما كسبت رَهينة﴾، ﴿فَلا أنسَاب بينهُم﴾، يأتون أفواجا، ويُعرضون فرادى.

فى الموقف يرى الطريد إبليس وأعوانه على حافة جهنم التى تنظر الإذن من ربها لتبتلع من كانوا أشد الخلائق عتيا، لقد بُعثوا على حافتها؛ فقضيتهم محسومة.

# حول العرش

بالأمر "كُن"، الوجود يعاد صياغته – على المستوى السماوى – ليليق بمقدمات تجلى العظمة الإلهية، ﴿وَانشَقَّت السَّمَآءُ فَهِىَ يَومئِذٍ وَاهِيَةٌ (١٦) والملَكُ عَلى أرجائهَا وَيحمِلُ عَرْش ربِّكَ فَوْقَهُم يوْمئذ ثمانية (١٧) - الحاقة﴾. الملائكة قائمون على أرجاء السماء، والحملة يحملون

العرش، إنه حمل تمجيد وتعظيم، وهم ثمانية من المخلوقات الفلكية العملاقة العاقلة، التى تكاد تذوب إيمانا بربها (تعالى) وتحمل عرشه العظيم وهى لاتراه (سبحانه فى علاه)، لكنها تشعر بفيض العظمة، ﴿يسبحون بحمد ربهم﴾.

الرحمن كما كان ﴿على العرش استوى﴾، سبحانك لا إله إلا أنت، هذا هو العرش العظيم الذى جادل فيه المجادلون، ﴿فسبحان الله رب العرش عما يصفون﴾، الكرسى - بلا حدود - وسع السماوات والأرض، ... سبحانك ..... سبحانك لا تقال إلا لك.

تدنو شمس ذلك اليوم بحرها - وهى شىء مستعر غير الذى نعرف - من رؤوس الخلائق قاب قوس أو قوسين ولا ظل إلا ظل العرش العظيم وهو من نصيب الأبرار، أما الأشرار فتصهرهم الشمس بقدر ماكان من فجورهم، ويشتد بهم الكرب - فى يوم ما أطوله - وقد اجتمع عليهم شدة الحر، وشدة العطش، وشدة الظُلمة، وشدة الرعب، مما ينتظرهم فى جهنم وهى أدهى وأمر. فى الموقف يفيض العرق من الفجار حتى يصير كالمستنقع وهم مغمورون فيه إلى الركبتين أو الصدر أو إلى الأذنين ومنهم من يكاد يغيب فى عرقه.

أحد الأولياء الصالحين يرقب ويتأمل ..... فيقول فى نفسه.

أقرب الناس من عرش ربهم هم الأنبياء (صلوات الله عليهم)، ... الله أكبر .. في كل حين ... الله أكبر حين تتلاقى أنوار النبوة في كنف أنوار العرش. سيماهم في وجوههم المنيرة، من آدم إلى محمد (سلام الله عليهم أجمعين). النور يحيط بهم من كل جانب، هذا - والله تعالى أعلم - هو يوسف الصديق؛ فإشراق جماله يفوق الوصف، والتصاقه بالعرش ربما جاء استجابة لدعائه ربه: ﴿أنت ولي في الدنيا والآخرة﴾.

ترى ماهذا الغمام البديع الملامس للعرش العظيم! لابد أن الصلة عظيمة بينهما، الخواطر تقول: هذه آيات القرآن العظيم، يتقدمها البقرة وآل عمران .... كلام الحق تجلى لينطق بالحق ويشهد في أعظم موقف ...

تُرى من هذا الذي يستظل بالغمام القرآني قرب العرش .... إنه العبد الشهيد، له في القرآن ذِكرٌ ... إنه زيد بن حارثة، حِب رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، الذي اختار رسول الله على أهله، حين جاءوا ليأخذوه من مكة.

ما هذا المتعلق بالعرش ...؟! إنها الرحم .... جاءت لتشهد وتقول كلمتها عند ربها ...

ومن يكون هذا الرجل الذى يبدو - من سكينته - أن بينه وبين العرش ألفة عريقة وعودة حميمة، هل هو سعد بن معاذ؟ الله تعالى أعلم.

ومن هؤلاء الجالسون على منابر من نور فى ظل العرش؟ هم زينة بارزة فى المشهد، إنهم المتحابون فى جلال الله ....، والحشاون فى الظلم إلى المساجد، تعلقت قلوبهم ببيوت الله فهذا مقامهم فى ظل عرشة، وفيهم أئمة العدل آمنون فى ظل العرش، وفيهم الشباب الذين نشأوا فى طاعة الله وداوموا عليها، ....

# صور خاطفة

اصطفت الملائكة،كل شىء مُعَد وحاضر بالأمر "كن"، ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالمَلَكُ صَفّاً صَفّاً (٢٢) وَجِيءَ يَومئِذٍ بِجَهَنَّمَ .... (٢٣) - الفجر﴾، جهنم حاضرة. بالأمر حضر الزبانية، عماليق وبأيديهم مقامع من حديد، ثيابهم من النيران المتأججة.

العظيم (سبحانه وتعالى) لاتدركه الأبصار، وفى حضرته الخشوع التام يلف الموقف، والأنفاس تكاد تحتبس، والأعين تدور، والمشاهد العجيبة متنوعة. نُصبت الموازين القسط، الاتجاهات مغيبة، لا يوجد شرق ولا غرب، ولا شمال ولا جنوب، ولا طرقات، ولا مركبات، ولا مفر. إما جنة وإما نار. لم يبدأ الحساب بعد، ولم يؤذن لأحد بالكلام بعد. وما زال ولى الله يتأمل ولا ينطق، بل يحدث نفسه:

عجيب أمر هذه القِطة التى لاتفارق إمرأة وجهها كالقطران!! يا إلهى ... إنها المرأة التى جاء خبرها – فى الحديث الشريف – أنها دخلت النار فى قطة حبستها، تلك هى القِطة، لم ينسها ربها، تبارك فى عليائه، وها هى جهنمْ حاضرة، صدق النبى، صلى الله عليه وسلم.

إن العقل العادل ليشتاق لمعرفة أحوال الذين شاركوا فى سجن الأبرياء ظلما لسنوات .... وسنوات ... تركوهم تفتك بهم الأمراض وسوء التغذية .... حتى الشمس حُرموا من رؤيتها حتى اصفرت وجوههم وصاروا كالموتى فى سراديب تحت الأرض يتبولون ويتغوطوْن فى جردل حيث ينامون .....
ترى كيف سيقتص الله تعالى لهم، قبل أن يمن عليهم ويدخلهم جنته! نعم إن شربة من أحد جداول الجنة ستنسيهم طول شربهم من جردل الزنزانة.

ولكن الظالم وأعوانه سيتمنون قطرة من جردل الزنزانة – وهم فى جهنم – فلا تأتيهم إلا عصارات الزقوم.
هاهم أربعون رجلا جاءوا بهيئتهم التى كانوا عليها فى زنزانة واحدة ليبروا بالقسم الذى كرروه فى ظلمة الزنزانة كل ليلة: أقسموا أن يجتمعوا فى الموقف أمام ربهم ويستأذنوه فى عرض قضيتهم مفصلة ويسألون بأى ذنب سجنا!! يارب أنت أحصى لمن عذبونا بلا ذنب ...

يارب انه كان لظروف سجن يوسف (عليه السلام) ملابسات حساسة، ذُكرت فى كتابك الكريم، وقد عوضته عنها فى الدنيا قبل الآخرة، ورُد إليه اعتباره، فياليتنا كنا فى سجن مثل سجن يوسف، وليت الظالم استعفانا فى الدنيا لكنا سامحناه، لكنه ظل على طغيانه حتى اتاه ملك الموت....

مازال الرجل الصالح يتأمل المشاهد الحية ....

عجب ... عجب ... رجل تخرج ألسنة النيران من جوانبه ومن فمه من قبل أن يحاسب ... ما هذا ... ربما كان هذا ممن كانوا أكلوا أموال الناس بالباطل .... هل هم المرتشون والذين أكلوا أموال الناس بالباطل .... الذين كانوا يأكلون فى بطونهم نارا وهم لايشعرون بحرها فى الدنيا فها هى اليوم تستعر وتجذبهم إلى جهنم ... والله تعالى أعلم.

ماشاء الله، هذا الرجل - البدرى الوجه - هو أطول الناس عنقا وسط المشاهد، يبدو - والله تعالى أعلم - أنه بلال بن رباح ... مؤذن الرسول!! ولكن من الذى يجاوره .... هل يكون هو ابن أم مكتوم؟ شريكه فى الأذان ... ....

لكن القرآن ذكر ان ابن أم مكتوم كان أعمى، وهذا الرجل مبصر!!! وكُتب السير تذكر أن بلالا كان حبشيا أسمر البشرة!! هل لصور اختلفت... نعم ...

ذلك الحال كان فى الدّنيا، وكان بلال عبدا مملوكا لأمية بن خلف، وذاق منه صنوف التعذيب. صدق رسول الله (صلى الله عليه وسلم): "المؤذنون أطول الناس أعناقا يوم القيامة " ، وبلال سيد المؤذنين.
سبحان الله، ... يبدو أن طرف الرأس الأسود البادى من مستنقع العرق هو رأس أمية بن خلف (رأس الكفر ) فى الدنيا، اليوم اسود وجهه.

تُرى ما حكاية هذا الكلب الذى يلازم صاحبه، وكأنه يحرسه فى موقف فيه ﴿يَفِرُّ المَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (٣٤) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ (٣٥) وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ﴾؟!!!، إنه العرفان بالجميل، والوفاء الذى لايتوفر لدى معظم البشر؛ فقليل منهم الشكور. لا، ليس الأمر كذلك الآن، الظروف تغيرت، إن الكلب قد أُحضر ؛ ليشهد ويقول: يارب عبدك هذا سقانى فى يوم شديد الحر ، لم يكن لى حول فيه ولا قوة، وأنت الكريم يارب وتملك أن تغفر له وتقيه حر هذا اليوم.
وهذا فحوى ما أخبر به الحديث الشريف. والجنة حاضرة ومفتحة الأبواب.

عجيب هذا المشهد، الناس بين جالس وواقف وزاحف ومكبل،فمن هذا الرجل الطيار؟ يبدو أنه جعفر بن أبى طالب والله (تعالى) أعلم، سنعرف بعد حين عندما يُنادَى، أو عندما ينصرف الناس أو تعلن نتائج الحساب.

لكن من هذا الذى يمشى هادئا واثقا، وكأنه تخلص من أثر عرجة قديمة مازال يعتز بها كعلامة مميزة !! هل هو عمرو بن الجموح؟ ربما .... والله (تعالى) أعلم.

أعوذ بالله، ما هذه الصفوف السوداء المكبلة بالأغلال والمسربلة بالقطران؟! إن وجوههم كأقفيتهم وكلها سوداء، إنهم عُميان، حتى من يتقدمهم أشدهم سواداً وعمى!! هذا فرعون [يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار]. لكنهم كانوا مبصرين فى الدنيا!! حقا [إنها لاتعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور]، وفى هذا الموقف تفتح القلوب فيبين بياضها أوسوادها.

أعوذ بعزة الله وسلطانه، ألسنة النيران ترتفع - بأمر ربها - تريد أن تلقف عتاة المجرمين لتهوى بهم فى سواء (قعر) الجحيم، لكن أمر التنفيذ لم يصدر بعد.

هذا الرجل الوضئ يتأمل النيران عن بعد ويدقق النظر فى السلاسل والأغلال التى تحيط بأجساد ورقاب المجرمين، إنه تدقيق المحترف المُعجب بعظمة الصنع، ويتعجب لإختلاف نوعية الحديد. ترى هل هو نبى الله (داوود عليه السلام)؟ الله تعالى أعلم.

ياللعجب عيون هذا الرجل تضئ ... هل تلك العيون التى كانت تبكى من خشية الله، أو التى باتت تحرس فى سبيل الله؟ الله تعالى أعلم.

ماهذا الذى يطير على وسادة يقطر منها الماء ....؟؟؟

هذا الذى كانت تبتل وسادته فى ظلمة الليل، يذكر الله خاليا فتفيض عيناه، وتفيض حَزَناً وخشية أن يغلبه النعاس فيتوقف لسانه عن ذكر الحبيب.

لكن الله تعالى لم يكلفه بذلك!!

نعم هذا صحيح، ولكن للمحبين أحوال وهم فيها يُعذرون .... ومن يملك الدمع حين يجف أو يفيض؟

# العرض

[الصحف نشرت، السماء كُشطت، الجحيم سُعّرت، الجنة أزلفت، علمت نفسٌ ما أحضرت]، [وترى كل أمة جاثية، كل أمة تدعى إلى كتابها، اليوم تجزون ما كنتم تعملون]، هذا يوم الحساب، [وضعت الموازين القسط].

العدل المطلق بمثقال الذرة ،[كل نفس بما كسبت رهينة]، الشهود حضور والسائقون مستعدون، وسجلات الأعمال ناطقة بلغة يفهمها الجميع. نتائج الحساب محددة فى علم الله تعالى، لكن العرض للتبيين وللتكريم أو للخزى.

هذا الموقف وهذا الجمع للحساب، ﴿يوم تبلى السرائر فما لهم من قوة ولا ناصر﴾، الجزاء على ما سبق من العمل، ﴿فمن يعمل مثقال ذرة

خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره﴾، ﴿يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون﴾.

يشتد الخزى والحر على الكافرين ويغمرهم العرق فى يوم طويل على المجرمين... طويل... إلى ماشاء الله (تعالى) ، ويهون ذلك الطول – المرن – على المؤمن كتدلى الشمس للغروب إلى أن تغرب، وهم فى ظل عرش الرحمن يوم لاظل إلا ظله.

هذا يوم التبيين، ﴿يَومَ يَجْمَعُ اللهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُم .... الآية (١٠٩) – المائدة﴾. الرسل فى ظل العرش. كل رسول سيسأل ويجيب ويبين، وجوابه يُسمع كل الوجود بلغة يفهمها الجميع.

العظيم الجبار يسأل – للإقرار – وهو الأعلم بالجواب:

يا نوح: كم لبثت تدعو الناس بأمرى؟

يارب تعلم أنى لبثت فيهم ﴿ألف سنة إلا خمسين عاما﴾، ﴿دعوتهم ليلا ونهارا﴾ ،﴿ثم إنى أعلنت لهم وأسررت لهم إسرار﴾.

يانوح: ماذا قلت للناس؟

يارب قلت لهم: ﴿اعبدوا الله ما لكم من إله غيره، إنى أخاف عليكم عذاب يوم عظيم﴾ ﴿.....

يانوح: كيف أجابك الناس؟

يارب تعلم أنهم عصونى ... وسخروا منى .... واستكبروا .... واتهمونى بالضلال.

يانوح: .....

يارب ..... ..... .....

ثم ينادى

يا إبراهيم: . ..... .....

يارب ..... ..... ربنا .....

ياهود: .....

يارب ..... .....

وأوضح سؤال سيوجه للمسيح عيسى ابن مريم (سلام الله عليهما) الذى افترى عليه الكَذبة وادّعوا إشراكه وأمه فى الإلوهية، سيُسأل على الملأ، سؤال تبرئة:

﴿وَإِذ قَالَ الله يا عِيسَى ابنَ مَرْيَم ءأنتَ قُلتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِى وأُمِى إِلَهَينِ مِن دُونِ اللهِ قَالَ سُبحَانَكَ مَا يَكُونُ لِى أن أقُولَ مَا لَيسَ لِى بِحَقٍ .... الآيات من أواخر المائدة﴾.

الإجابة مفصلة لأنها تتعلق بأخطر قضية.

~~ثم ينادى المنادى مرة واحدة فلان بن فلان، هلم إلى العرض.~~

فيضطرب فلان فيجذبه السائق ويقربه من العرش وفى يده اليـ ... صحيفته. العزيز العليم يستجوب عبده .....

يا ابن آدم : ﴿إقرأ كتابك﴾.

يارب ... إننى أُقر بكل ماجاء فى كتابى ، فلم يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها.... يارب وفى الكتاب مالم أكن أحتسب ....

يارب ..... يارب وفى الكتاب حسنات لم أفعلها!!

إنها أخذت لك من حسنات فلان الذى اغتابك فى الدنيا.

عبدى: كم عمّرت فى الدنيا؟

يارب ... تعلم أننى عمّرت كذا عام.

عبدى: بماذا أجبت رسولى، حين بلغته رسالته؟

يارب .....

يابن آدم: من كنت تعبد؟

كنت أعبدك يارب.

كذبت، بل كنت تعبد نفسك، وتعبد المال، وتعبد السلطان، وتعبد الشيطان، وتتبع ضلالات الكهنة والمتاجرين بالدين، وتتبع الشهوات .....

من أين اكتسبت الأموال؟ وفيم أنفقتها؟

يارب .... اكتسبتها من..... يارب ونفقتها فى .....

لماذا كنت تغتاب فلان وفلان؟

يارب .....

لماذا؟ ضربت فلان؟

يارب .....

لماذا شتمت فلان؟

يارب ... لأننى ... لأننى كنت أبغضه ..... و ... وندمت ..

لقد طففت ٩٤٢ مرة فى المكيال وأخسرت ٥٣٩ مرة، أما فى الميزان فقد طففت ٦٣٧ مرة، و ٣٧٨٦ مرة وأخسرت ٢١١٩ مرة، يوم كذا وساعة كذا .... ظلمت فلان واختلست من فلانة ...

وما جمعته لم نبارك فيه وأهلكه ورثتك فى الحرام.

يارب إننى نادم على ذلك .... ولو عدت للدنيا مافعلت.....

يا ملائكتى اذهبوا بهذا العبد إلى .....

وينادى المنادى: فلانة بنت فلان، هلمى إلى ربك الرحمن. فإذا بملائكة الرحمة تأتى برضيعة – ليس فى يدها كتاب – تدور عينيها بين الخلائق فى ذهول، حتى تستقر فى ظل العرش، ويغمرها فيض الحنان.

ياأمتى: من قتلك؟

يارب تعلم أن الذى قتلنى فلان.

ولم قتلك؟

يارب لم أكن أعلم السبب، فسأل الذى قتلنى، وأنت الأعز الأعلم؟

يازبانية أحضروا فلان بن فلان.

هاهو يارب ....

يا ابن آدم: لم قتلت أمتى، وهدمت خلقى؟

هاه ..... كنت .... هاه.....

يازبانيتى : اذهبوا بالمجرم إلى سواء الجحيم .....

ثم ينادى المنادى: فلان ابن فلان، هلم واقترب من العرش، فإذا بالملائكة تصحب وجها منيرا يمسك كتابه بيمينه، ويتقدم حتى يغيب فى النور العظيم، ويخلو بربه الكريم.

عبدى: لم فعلت كذا؟ أما استحييت منى؟

يارب فعلتها جاهلا بها ومنذ عرفت حُرمتها ما اقتربت منها.

عبدى أنا سترتها عليك فى الدنيا، واليوم أغفرها لك.

عبدى أتذكر يوم كذا ساعة تصدقت بكذا درهم، وضعتها من تحت باب الأرملة فلانة بنت فلان التى كانت ترعى الأيتام؟

يارب أذكر اليوم والساعة وفتحة الباب ولكنى لا أعرف المبلغ؛ لأن الليل كان مظلما.

عبدى هاهو الباب حاضر أمامك (مبتلا؛ فقد كانت السماء ممطرة) وهذه هى الدراهم كانت أحد عشر درهما، لكنها صارت كالجبال تثقل ميزان حسناتك. عبدى، يامن رحمت الأيتام، الآن أُدخلك فى رحمتى.

وملك ينادى: هذا فلان ابن فلان، سعد سعادة لايشقى بعدها أبدا ..

و ينادى المنادى: أحضروا فلان بن فلان (الكذاب) .....

أعوذ بالله، السائقون يجُرون مخلوقا شديد السواد كأنه صُنع من الظُلمة .... هذا الذى كُتب عند الله كذاباً .....

نداء قوى: أحضروا المنافق فلان بن فلان ....

أأنت الذى مردت على النفاق وصرت فيه خبيرا؟

هاه .... آه ..... نعم ..... قد .... كنت ... تبت ... ندمت.
كذبت، اذهبوا به إلى حيث أمرتكم .....

يا إلهى .... ما هذا المخلوق الذى يزحف على رقبته لا يستطيع تخليصها من الأرض ... هل هذا هو المطوق بسبع أراضين؟! الذى ظلم الناس فى شبر من أرض.... فى الدنيا. يُجذب البائس لينضم لصفوف الذاهبين إلى الجحيم.
فى أواخر الصفوف السوداء ترى الذين سماهم الحديث الشريف بالمفلسين أعمالا .....

وينادى منادى الخير والأمان ، زُمر السلام والفوز المبين:
أين الصابرون.... أين المخبتون.... أين البدريون ... أين الحمادون على كل حال .... أين المتوكلون على ربهم .... أين المجاهدون فى سبيل الله تعالى .... أين الذين كانوا يقومون الليل إلا قليلا .... أين الصائمون فى حر الهواجر ... أين الذين كانوا يؤثرون على أنفسهم .... أين ..... أين.... تلك هى الصحبة التى تفيض نورا وطهارة ونقاء شفافية وطيبة، جوارها سعادة، الحياة معهم هى الحياة.
يسيرون فى مواكب النور والإكرام وأبواب الجنة مفتحة لهم؛ فهم أهل كرامة الله ورضوانه، وجوههم كالبدر ، مشرقة برضا ربهم، مسرورون فرحون مستبشرون.
طاب نسيم الجنان، طوبى لأحباب الرحمن.

ساح ريح المسك الأذفر.

هذا هو الحسن الجمال الموهوب من الله (تعالى) لتلك الوجوه الناعمة، لسعيها راضية فى جنة عالية، لا تسمع فيها لاغية، فيها عين جارية، فيها سرر مرفوعة، وأكواب موضوعة، ونمارق مصفوفة، وزرابى مبثوثة.

بعد الرحلة الطويلة سيتكئون على سرر موضونة، يطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب وأباريق وكأس من معين، لا يصدّعون عنها ولا ينزفون، وفاكهة مما يتخيرون، ولحم طير مما يشتهون، وحورٌ عين، كأمثال اللؤلؤ المكنون، جزاء بما كانوا يعملون، ... الآيات من سورة الواقعة.

# الجنة

الجنة هى المقر الأبدى الذى قدره العزيز الودود لأحبابه السعداء، الذين اتبعوا النور الذى أنزل فأطاعو خالقهم وعبدوه، وباعوا أنفسهم له. وللجنة ثمانية أبواب يدخل العبد الصالح من أى باب يشاء فكل الأبواب تناديه. فى الجنة من السعادة والنعيم مايتعذر وصفه؛ بسبب قصور التصور البشرى، وللمؤمن أن يتمنى فى الجنة ما يشاء وهناك المزيد. والجنة مراتب ودرجات تتدرج إلى أعلى ويتوفر أخبارها وموجز وصفها فى العديد من المصادر الإسلامية، ولا داعى لتكرار

ذكرها هنا، فقط نوجز ما يكفى للدلالة على بشائر النعيم للطائعين. وأقل أهل الجنة مرتبة له من الملك أضعاف ما كان فى كل الدنيا من نعيم، وأعلى أهل الجنة مرتبة هم أصحاب الغرفات وأهل الفردوس الأعلى.

وقد أخرج البخارى ومسلم وغيرهما، عن أبى هريرة (رضى الله تعالى عنه) قول رسول رب العالمين (صلى الله عليه وسلم)، فى الحديث القدسى: "أعددت لعبادى الصالحين مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، اقرأوا إن شئتم ﴿فَلا تَعلَمُ نَفسٌ مَا أُخفِى لَهُم مِن قُرةِ أعيُن﴾"، فكيف يمكن تصورها!! إن كل أخبار الجنة بشائر بنعيم مقيم يفوق أى وصف يمكن أن يستوعبه العقل البشرى. وفى وصف الجنة يقربها ربنا إلى فهمنا فيقول عز من قائل: ﴿مَثَلُ الجَنَّةِ الَّتِى وُعِدَ المُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِن مَاءٍ غَيرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّم يَتَغَيرِ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِن خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِن عَسَلٍ مُّصَفًى ..... الآية (١٥) - محمد﴾.

الزوجة فى الدنيا أصلها من الطين، أما فى الجنة فهى الحور العين. المنازل فى الدنيا صنعت مما علمتم، أما فى الجنة فالمنازل من القصب واللؤلؤ الذى لانعرف عنه إلا اسمه. فاكهة الجنة لا نعرف عنها إلا بعض مسمياتها ولذلك سيلتبس الأمر على أهلها فيقولون فى غمرة الفرحة: ﴿هَذَا الذى رُزِقنا مِن قَبل﴾.

وفى الجنة قمة النعيم وزيادة، ﴿للذين أحْسَنُوا الحُسْنى وزِيادة﴾، وكما جاء فى التفاسير الزيادة هى رؤية أرحم الراحمين العزيز البديع ذى الجلال والإكرام.

وفى الحديث الصحيح الذى أخرجه الإمام أحمد والترمذى، عن أبى هريرة (رضى الله عنه) عن خير البرية( صلى الله عليه وسلم) قال: " الجنة بناؤها لبنة من فضة، ولبنة من ذهب، ملاطها المسك الأذفر، وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت، وتربتها الزعفران، من يدخلها ينعم لايبأس، ويخلد لا يموت، لاتبلى ثيابهم، ولا يفنى شبابهم".

والأحاديث الشريفة التى تقرب نعيم الجنة إلى أفهامنا عديدة تشد بعضها بعضا، ونقتطف منها مايلى:

١. أخرج ابن ماجة وابن حبان والبيهقى والبزار ، عن أسامة بن زيد رضى الله تعالى عنهما، قول الحبيب المصطفى (صلى الله عليه وسلم): "ألا هل من مُشمر للجنة؟ فإن الجنة لا حظر لها، هى ورب الكعبة نورٌ يتلألأ، وريحانة تهتز، وقصر مشيد، ونهر مطرد، وثمرة نضيجة، وزوجة حسنة جميلة، وحلل كثيرة، ومُقام فى أبد فى دار سليمة، وفاكهة وخضرة، وحبرة، ونعمة فى محلة عالية بهية، قال الصحابة: يارسول الله نحن المشمرون لها، قال: قولوا إن شاء الله، قالوا: إن شاء الله".

٢. أخرج البخارى ومسلم، عن سهل بن سعد (رضى الله تعالى عنه)، قول الصادق الأمين (صلوات الله عليه): "موضع سوط فى الجنة خير من الدنيا ومافيها".

# بين الرياض

خير وصف للجنة تجده فى كتاب الله فى سور الرحمن والواقعة والحاقة والنبأ وغيرها من السور، كله نؤمن به ونوقن بتحقيق ما وعد ربنا بالغيب. اللهم اجعلنا من أهل الجنان التى تهفو إليها أفئدتنا؛ لقربها منك وحبا فى ساكنيها الأطهار الأبرار أحبابك يارحمن.

وشوق قلوب المحبين لأحبابهم يدفع الخيال الإيمانى دفعا لتخيل أحوالهم فى الجنان عند ربهم الحنان المنان. وللمحسن الآن أن يتخيل فى الجنة ما يشاء مسترشدا بهدى الصادق الأمين صلى الله عليه وسلم. فأهل الجنة يتنعمون فيها ويتزاورون ويتنقلون بمجرد الرغبة فتطوى لهم المسافات ويتم الانتقال الفورى، ويرون كل ما ومن يشتاقون لرؤيته حتى ربهم جل وعلا يُرى - لأحبابه يومئذ -كالبدر فى السماء، وما دون ذلك من رؤية أهل الجنة من المقربين فهى أمنية ميسورة التحقق.

وأسأل الله أن يوفقنا لصالح الأعمال ويحسن لنا الخاتمة ويجمعنا فى جنة الخلد ويومئذ ﴿نتبوأ من الجنة حيث نشاء﴾. وهل يوجد فى العالمين سعادة تدانى سعادة التنقل بين رياض الأنوار، وسط منازل الأطهار الأبرار، صفوة خلق بديع السماوات والأرض.

النسائم معطرة بالطيب تفوح بالعنبر والمسك والريحان، تربتها الزعفران. البنايات من الزمرد والدر والياقوت الألوان صافية كلها جديدة وتداخلاتها عجيبة.

على البعد يرى الرائى جمالا يتلألأ، فيخطر بباله أن يسأل: لمن ولماذا كل هذا النعيم؟ فيأتيه الجواب: هذا القصر فى تلك الرياض الوارفة الظلال هو استجابة لما طلبته المؤمنة امرأة فرعون (آسيا بنت مزاحم) من ربها تعالى حين قالت: ﴿رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة﴾، لقد طلبت الجوار قبل الدار.

وتتوالى الإجابات قبل النطق بالسؤال: وهذا القصر العامر الذى تحوطه الملائكة فى الفردوس الأعلى للعابدة الطاهرة سيدة نساء العالمين مريم ابنة عمران (سلام الله عليها) التى كانت الملائكة تجالسها وتؤنسها فى الدنيا، والآن ينتشرون فى رياض قصرها القريب من قصر ولدها البار المسيح عليه السلام .
هذه منازل الأنبياء والمرسلين والمقربين من ربهم تعالى، آدم أبو البشر، نوح عليه السلام، إبراهيم وذريته من الأنبياء سلام الله عليهم أجمعين.

هذه الروضة الغناء لكافل اليتيم، إنها حقا أقرب ما يكون من منزل رسول رب العالمين، صدق رسول الله، صلى الله عليه وسلم.

الله أكبر ... ما شاء الله ... هذا القصر من القصب هو من أملاك السيدة خديجة بنت خويلد، أول المؤمنات بخاتمة الرسالات، أنفقت كل ثروتها فى سبيل مؤازرة الدعوة االإسلامية ونصرة حبيب الرحمن.

وهذه قصور أمهات المؤمنين – رضوان الله عليهم أجمعين – الذين خُيرهم ربهم تعالى وهم فى الحياة الدنيا، فاخترن الله ورسوله، والدار الآخرة. نعم الاختيار وهذا هو الفوز المبين.

فى هذه الرياض البهية والمنازل العلية توجد قصور المؤمنات والمجاهدات: الرميصاء، الخنساء، الشيماء، أسماء، ، الصابرة السوداء، أم أيمن، أم عمارة، أم هانئ، أم حرام، أم ورقة، أم سليط، و... و... ولا نزكى على الله أحدا، [كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم فى الأيام الخالية]، هذا مقام المجاهدين والمجاهدات المؤمنين والمؤمنات.

هذه الأنوار البهيجة المعطرة تنبعث من القصر اللؤلؤى فى الرياض الخاصة بسمية بنت خباط أول شهيدة فى الإسلام، ربة البيت الذى بشر النبى (صلى الله عليه وسلم) آله بالجنة. سبحان الله حتى الستائر تضئ، ترى كيف صُنعت!! الجداول ينساب فيها العسل واللبن و....

وذاك الكوكب الدرى هو قصرٌ – فى عليين – من مُلك أبى بكر الصديق، فى الفردوس الأعلى، وهو قريب من رياض حبيبه رسول

رب العالمين ﴿ثاني اثنين إذ هما في الغار﴾، الخليفة من بعد الرسول، وضجيعه (بعد الموت) في روضة الأنوار. ما كل هذا الحرير الذي يُعطّر النسائم!! رضي الله عنك أيها الصديق، لقد كنت موفقا حين آثرت أن تخرج من الدنيا مكفنا في ثوبك قديم، وقلت: الحي أولى بالجديد من الميت. فمن أولى بحرير الجنة منك يا صديق!

ما كنا نستطيع - ونحن في الدنيا - أن نتصور جمال وبهاء الحور العين. صباحة الوجه تنافس درر التاج، وشفافية الجسد تبرز بريق الأساور والقلائد، ترى من أي مادة نُسج ذلك الوشاح على كتفي الحور!! لقد حار الطرف فيها من أي زاوية تنظر، الجمال يحتضن بعضه بعضا.

وهذا القصر - على أنهار الجنة - بجواريه وما فيه من الحور العين، كأمثال اللؤلؤ المكنون، حول البحيرات المرمرية، يحفه الولدان والخُدّام. إنه من أملاك أمير المؤمنين (الفاروق) عمر بن الخطاب، رمز العدل وشهيد المحراب. سبحان الخلاق العليم .... لقد كان الجمال - في الدنيا - وصفا، أما في الجنة فالجمال مواد تصنع منها الأشياء!! الله أكبر ....

أما هذه الرياض الدرية الهادئة بنخيلها الذهبي ورمانها الندى وطيورها المغردة (تسبيحا) وقصورها المنيرة وخيامها اللؤلؤية وعينها

الجارية، فهى لذى النورين صاحب الهجرتين، المصلى إلى القبلتين، مُشترى بئر رومة لله تعالى، مُجهز جيش العسرة فى سبيل الله، ثالث الخلفاء الراشدين، القانت آناء الليل ساجدا، الحيّى الذى تستحى منه الملائكة، الشهيد الصائم، المبشر بالبلوى، المنعم بالنجوى،عاشق القرآن، عثمان بن عفان. الجوارى الحسان رهن الإشارة والحور العين تحيط برقية وتُجيب أم كلثوم.

هذه الأنوار العجيبة هى مزيج من أنوار الجنان وأنوار آل البيت، تلك من الغرفات التى فيها سيدا شباب أهل الجنة (الحسن والحسين) وأمهما الزهراء بنت خاتم الأنبياء. وفيها الفارس الهاشمى،أمير المؤمنين، باب مدينة العلم، رابع الخلفاء الراشدين، قدوة المتقين، وزينة العارفين ، علم الشجاعة، وأمير الفداء، الزاهد فى زخارف الدنيا، على بن أبى طالب، كرم الله وجهه.

هذه الأشجار العجيبة الثمار – تسكنها الطيور الخضر – تحيط بقصور الحمزة بن عبد المطلب سيد الشهداء، ورياض مصعب بن عمير الدرى (طالب التأنيس فى رياض التقديس) بذكائه الزكى ترك نعيم قريش ليشترى نعيم الجنة. هنا أيضا قصور عبد الله بن جحش (شهيد أحد)، وجعفر بن أبى طالب المهاجر والشهيد الطائر، وعبد الله بن رواحة، طوبى لهم فى جنة الرضوان .... الله أكبر ....

هذا النهر العسلى المصفى يسابق النهر اللبنى الطازج والنهر والخمرى اللذيذ، من تحت منازل طلحة بن عبيد الله (الفياض، الجواد)، والزبير بن العوام (المجاهد الثابت القوام)، وعبد الرحمن بن عوف (المستغنى بالله)، وأبو عبيدة عامر بن الجراح (أمين الأمة)، والقائد المجاهد المستجاب الدعوة سعد بن مالك (أبى وقاص) و ..... هذه منازل أحباب الرحمن لايعلم عددهم إلا هو تبارك وتعالى.

الله أكبر .... ماشاء الله .... هذه هى الجنان المزدوجة، هذا ما وعد الرحمن، ﴿ولمن خاف مقام ربه جنتان﴾ تزينتا للنزلاء فصارتا ﴿ذواتا أفنان﴾ وأثمرتا فصار ﴿فيهما من كل فاكهة زوجان، فبأى آلاء ربكما تكذبان﴾. هذه الجنان فيها الإمام السجاد من آل البيت، كان فى الدنيا شديد الخوف من الله، كان حين يتوضأ يصفر لونه، فيسألونه: ماذا جرى لك؟ فيقول: ألا تعرفون بين يدى من سأقف!

وفى هذه الجنان المزدوجةرجلٌ عُمرى (جده لأمه هو عمر بن الخطاب) ، ذلك الرجل ملأ الأرض عدلا بعد أن شهدت جورا، من يرى شدة خوفه من الله يظن أن النار لم تُخلق إلا له! خاف الله فى الدنيا فأمّنه الله تعالى فى الآخرة.

حيثما توجهت تجد الإشجار تتدلى منها عجائب الثمار تنادى من يقطف وتدنو منه وتتودد إليه حبا فى ربها الله. هناك جلسة الإخوان

المتقابلين على السرر السيارة، فى منادمة أنهار الجنة، النمارق مفروشة، والزرابى مبثوثة على كثبان ما كنا نسمى شبيهه الدنيوى بالمسك والكافور . الولدان المخلدون يطوفون بشبيه ما كنا نسميه الأكواب والأباريق يغترفون من أنهار الجنة ويطوفون ويطوفون سعداء يُحيُون ولا يملون يقولون [اشربوا هنيئا ...].

# الجحيم

جهنم – والعياذ بالله تعالى منه – هى المقر الأبدى للكفار والأشقياء، أعداء العزيز الجبار، إنها بئس القرار، طعام أهلها هو الزقوم، ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ (٦٤) – الصافات﴾، وهى﴿كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ (٤٥) كَغَلْيِ الْحَمِيمِ (٤٦) – الدخان﴾. والزقوم يصفه من لاينطق عن الهوى فى الحديث الصحيح، الذى أخرجه كل من أحمد والترمذى والنسائى والحاكم وابن حبان، عن ابن عباس ( رضى الله عنهما)،فيقول (صلى الله عليه وسلم):

" لو أن قطرة من الزقوم قُطرت فى دار الدنيا، لأفسدت على أهل الدنيا معايشهم، فكيف بمن تكون طعامه؟".

هذا هو الطعام، أما الشراب فهو أدهى وأمر، ﴿.... لَهُمْ شَرَابٌ مِن حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيم .... الآية (٧٠) – الأنعام﴾.

النار تغلق على من فيها، وقد تورموا بمجرد سقوطهم فيها، النار ﴿.... وَقُودُهَا النَّاسُ والحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ .... الآية (٧) - التحريم﴾. المجرمون [سرابيلهم من قطران وتغشى وجوههم النار، ولها شهيق وزفير، وهى تفور] بالانفجارات الهائلة الرعدية الصوت، و [تقول هل من مزيد] الجلود تنصهر واللحم يشوى ويتساقط حول الهياكل العظمية، الأمعاء المقطة تتدلى.

﴿هذه جهنم التى يُكذّب بها المجرمون، يطوفون بينها وبين حميم آن﴾.

العطش بلغ بالمجرمين مبلغه، فنادوا الأقرباء من أهل الجنة: يأأهل الجنة، يا معشر الآباء والأمهات والأخوة والأخوات، منذ خرجنا من قبورنا ونحن عطاش، ووقفنا بالموقف عطاشا، وأُلقينا فى النار عطاشا؛ أفيضوا علينا من الماء، أو مما رزقكم الله، فأجابوهم بالتخسئة، فتراجع فى قلوبهم الحسرة والندامة(٣).

والآيات فى وصف النار والجحيم عديدة فى كتاب الله (تعالى)، وفيه الكفاية لمن يعقل.

دركات الجحيم تتدرج لأسفل، ففى سواء الجحيم توجد نزل فرعون وهامان وأذناب الطغاة، وأبى جهل وأبى لهب وامرأته (حمالة الحطب)، وعقبة بن أبى معيط، وأُبى بن خلف، ومُسيلمة الكذاب .... ومن على شاكلتهم.

# بين الخوف والرجاء

اللهم هذا مقام العائذ بك ..... يارب، أنت أعلم بأهل الجنة وأهل النار ... ففى أى الفريقين عبدك يارحمن؟

اللهم إنا نتوب إليك، ونستغفرك من كل ذنب وخطيئة ..... ونسألك العفو والعافية، ونعوذ بك من النار ، ونسألك أن تجنبنا ما يقربنا منها من قول أو فعل.

اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عنا ..

يارب قد بلغنا الحديث موثقا عن نبيك الكريم (صلى الله عليه وسلم): "أن المرء يحشر مع من أحب ..... وأنت يا علام الغيوب تعلم من أحب".

اللهم إنا نطمع فى كرمك ونسألك الجنة، وأن توفقنا – بفضلك – وتعيننا على ما يقربنا إليها من قول أو فعل.

فوفقنا اللهم لما تحب وترضى، ياأكرم الأكرمين ويا مجيب السائلين.

وصلى اللهم على جميع المرسلين، واجعل اللهم آخر دعوانا "الحمد لله رب العالمين".

# بعض المراجع


أ. محكم التنزيل (كلام رب العالمين).

ب. كتب السنة النبوية (أقوال خاتم الأنبياء والمرسلين).

١. ابن كثير ، البداية والنهاية.

٢. ابن القيم، الروح، بدون تاريخ.

٣. الحارث بن أسد المحاسبى، التوهم: رحلة الإنسان إلى عالم الآخرة، مكتبة القرآن، القاهرة، ١٩٨٤.

٤. حسن أيوب، رحلة الخلود، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، الطبعة الخامسة، ١٩٩٥.

٥. محمد الحسينى اسماعيل، الدين والعلم وقصور الفكر البشرى، نشر مكتبة وهبة، القاهرة، ١٩٩٩.


obeikandl.com

٦. مصطفى محمود، ماذا وراء بوابة الموت، أخبار اليوم، القاهرة، ١٩٩٩.

٧. هانى عبد الرحمن مكروم، العقل: تنظيمه وإدارته، نشر مكتبة وهبة، القاهرة، ١٩٩٧.

٨. ---------- ، الهندسة البيئية، نشر مكتبة وهبة، القاهرة، ١٩٩٨.

٩.----------، التصور العقلى، نشر مكتبة وهبة، القاهرة، ١٩٩٨.

obeikandl.com

# الفهرس


مقدمة ٣

رب العالمين ..... ٧

الإحاطة العظمى ٨

الأسباب ١٣

الله والإنسان ١٦

الرسل ٢١

نحن والعوالم ..... ٢٥

تعدد العوالم ٢٧

تعاون العوالم ٣٠

المادة ٣٤

الزمن ٣٧

عالم الجماد ..... ٤١

برزخ الذرة ٤٢

الغيب والشهادة ٤٤

إحساس الجماد ٤٦

عالم البحار ..... ٥١

جند الرحمن ٥٣

الماء والحياة ٥٤

عالم النبات ..... ٥٧

إحساس النبات ٥٩




obeikandl.com

المخلوقات الطينية ٦٢
الرزق النباتى ٦٣
عالم البشر ..... ٦٥
الإنسان والحيوان ٦٦
آدم وذريته ٧٠
الإنسان ٧١
النفس البشرية ٧٣
التوافق الإنسانى ٧٥
دور الإنسان فى الحياة ٧٧
عالم الطير ..... ٧٩
عشق الحرية ٨٠
منطق الطير ٨٢
عالم الأفلاك ..... ٨٥
السماء ٨٦
الكون ٨٧
عالم الجن ..... ٩١
إبليس وقبيله ٩٣
الصفات الشيطانية ٩٧
عالم الملائكة ..... ٩٩
الصفات الملائكية ١٠١
رؤية الملائكة ١٠٣
عالم الفكر ..... ١٠٥
خفاء الفكر ١٠٦
مستوى الفكر ١٠٨

obeikandl.com

التصور المعكوس ١١١
الاتصال والتواصل ١١٣
مغادرة الدنيا ..... ..... ١١٥
الوصية ١١٦
إلى عالم الغيب ١١٧
الموت والحياة ١١٩
توقيت المغادرة ١٢١
مكان المغادرة ١٢٢
حقيقة الموت ١٢٤
قبيل الموت ١٢٥
سكرات الموت ١٣٠
بُعيد الموت ١٣٨
الروح والريحان ١٤٢
أهل السلام ١٤٣
تصلية الجحيم ١٤٤
عالم البرزخ ..... ١٤٥
الاستجواب ١٤٧
الموت والنوم ١٤٨
نعيم القبر وعذابه ١٤٩
العالم الآخر ..... ١٥١
النفخة الأولى ١٥٤
البعث والحشر ١٥٦
حول العرش ١٥٩
صور خاطفة ١٦٢

opeikandi.com

العرض ١٦٧
الجنة ١٧٤
بين الرياض ١٧٧
الجحيم ١٨٣
بين الخوف والرجاء ١٨٥
بعض المراجع ..... ١٨٦
الفهرس ..... ١٨٨

obeikandl.com

رقم الايداع : ٩٩/٩٧١٦
الترقيم الدولى : I.S.B.N. 977-19-298-8

obeikandl.com